محاضرات في

الإعجاز البياني واللغوي في القرآن الكريم



د. بشير عبدالله المساري

طبعة الكترونية منقحة

محاضرات في:

الإعجاز البياني واللغوي

في القرآنِ الكريم

تأليف

د. بشير عبد الله المساري

بسم الله الرحمن الرحيم

25/شعبان/١٤٤٦هـ

2026/2/13م

المحاضرة الأولى: مدخل تمهيدي ..

ويشمل:

- موقف العرب من تحدي القرآن الكريم لهم.
- تعريف الإعجاز.
- مظاهر إعجازية عامة.

الحمد لله الذي (عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ* عَلَّمَهُ الْبَيَانَ) والصلاة والسلام على من أرسله الله باللسان المبين أستاذ البشرية ومعلمها الأول محمد وعلى آله الأبرار وصحابته الأخيار.

وبعد:

فإن للمؤلف استهلالا تمهيديا لازما لبيان مراحل الإعجاز والتعجيز ومعناه ومظاهره وعلى النحو التالي:

** موقف العرب من تحدي القرآن الكريم لهم.

قبل نزول القرآن الكريم كان العرب قد بلغوا الذروة في الفصاحة، محادثة .. وخطابة .. وشعرا ومثّل الشعر نموذجا أعلى للنضج البياني .. فاعتنوا به عناية فائقة حتى خضع للتمحيص والنقد، فكانت تضرب للنابغة الذبياني في سوق عكاظ قبة حمراء يقصده الشعراء ليحكم بينهم ويفصل في المناظرات الأدبية، ويحدد مراتبهم وقد اشتهر بمهارة كشف الحسن منه والرديئ، ومعرفة طبقات الشعراء، كيف لا؟ وهو من فحولهم .. ملك الشعر وشاعر

الملوك .. فكان يحدد قصيدة الموسم .. وكان يعلَّق على الكعبة أجود الشعر ومنه جاء اسم المعلقات .. ولمكانة الفصاحة عندهم كان البيت الشعري ربما رفع أقواما ووضع آخرين.

وعندما نزل القرآن الكريم مثّل لهم صدمة بيانية .. فحاروا في أمره لفصاحته الإعجازية وهم أرباب الفصاحة وروادها .. حتى استعصى عليهم تصنيفه وسجل الله تعالى تلك الحيرة والتردد في أكثر من موضع منه قوله: **{بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ}** [الأنبياء: 5].

فقالوا أولا (أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ) ولاتدري كيف ساغ لهم وصف الكلام البين بأخلاط من أحلام منامية وهو مناقشات عقلية مدركة ومخاطبات شعورية واضحة؟ ثم قالوا (بَلِ افْتَرَاهُ) أي اختلقه من غير أصل و «بل» تفيد الإضراب أي إلغاء السابق واعتماد التالي ثم قالو (بَلْ هُوَ شَاعِرٌ) أي لا لم يفتره بل هو شاعر .. وهذا التردد بين الشيء ونقيضه يشير إلى صعوبة التقريب بينه وبين غيره من كلام البشر .. فقد انتقلوا من وصفه بالأحلام إلى صناعة بشرية .. ثم في مواضع مختلفة يصفونه أنه (أساطير الأولين) أي ليس أحلاما ولا اختلاق من النبي صلى الله عليه وسلم بل نُقل إليه من الأولين .. وفي سورة المدثر على لسان الوليد بن المغيرة نجد الانتقال من عالم الأحلام والصناعة وأخبار السابقين إلى عالم الطلاسم: **{فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ}** [المدثر: 24].

على أية حال إذا كان سحرا فقد كان لديهم السحرة فليأتوا بمثله .. وإذا كان شعرا فلديهم شعراء .. وإذا كان افتراء أي اختلاق فليختلقوا نظيرا له قال الله :**{أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}** [هود: 13].

وإذا كان أساطير الأولين فلديهم كتب الأولين فهاتوا منها بنظائر أسلوبه وبيانه .. نعم لقد حاولوا تقليده (لو نشاء لقلنا مثل هذا) **{وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ}** [الأنفال: 31].

ولقد كان (النضر بن الحارث) بطل المحاولة وكان من سادة قريش، وكان يسافر إلى الحيرة وفارس، فيتعلّم قصص كِسرى، وقيصر، ورستم وإسفنديا فإذا جلس النبي صلى الله عليه وسلم عند الكعبة يقرأ القرآن، جلس النضر بعده وقال لقريش:

– أنا والله أحسن حديثًا منه ثم يقصّ عليهم أخبار الملوك والأساطير الفارسية .. ومنه نأخذ أنهم فعلا قد حاولوا مجاراة القرآن ولكن بلا جديد، فإنما هو سرد قصص متناولة، ليس فيها تلك اللغة الفطرية ذات الوقع المتفرد .. التي تخاطب العقل والضمير.. والفطرة السليمة .. وبطريقة غير معهودة في دقة التعبير .. ومتانة المبنى .. وشرف المعنى .. وشمول المنهج .. وفلسفة الحياة والموت.

وفي العرض القرآني في تحدي العرب نلحظ التدرج من عشر سور إلى سورة مثله فقال:

{أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} [يونس: 38].

وفي سورة البقرة نجد تخفيض سقف التحدي فقال (من مثله) **أي** مماثلة على التقريب لا على التحديد قال: **{وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ}** [البقرة: 23– 24].

وفي سورة الإسراء حسم الموقف أن الإتيان بمثل القرآن غير ممكن ولو اجتمعت الإنس والجن **{قل لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا}** [الإسراء: 88].

ومع ذلك فقد جاء من انبرى لهذا التحدي مجددا في صدر الإسلام فقد حكى النقاش أن أصحاب الكندي قالوا له: أيها الحكيم أعمل لنا مثل هذا القرآن فقال: نعم ! أعمل مثل بعضه ؛ فأحتجب أياما كثيرة ثم خرج فلم يجد إلى ذلك مسلكا ثم فتح القرآن ووقعت عينه على أول سورة المائدة: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَوْفُواْ بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الأَنْعَامِ إِلاَّ مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ}** [المائدة: 1].

: والله ما أقدر ولا يطيق هذا أحد؛ إني فتحت المصحف فخرجت سورة: {المائدة} فنظرت فإذا هو قد نطق بالوفاء ونهى عن النكث، وحلل تحليلا عاما، ثم استثنى استثناء بعد استثناء، ثم أخبر عن قدرته وحكمته في سطرين، ولا يقدر أحد أن يأتي بهذا إلا في أجلاد[1]

** تعريف الإعجاز:

الإعجاز لغةً: هو إثبات العجز والقصور عن الشيء، واصطلاحاً: هو أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي.

ويشترط فيه أن يكون خارقاً للعادة، صادرًا من الله على يد نبي، ومُقترنًا بالتحدي، ومُعجِزًا للعالم عن الإتيان بمثله، وسالمًا من المعارضة.

ذلك أن الإعجاز إشارة إلى أن موجد النواميس هو وحده القادر على خرقها فيكون ذلك دليلا على أن الرسالة هي من عند خالق الكون ومصرفه.

وأشهر أنواعه إعجاز القرآن الكريم ببلاغته وأخباره الغيبية، مما يعجز البشر عن الإتيان بمثله (أو حتى بسورة قصيرة مثل سورة التكاثر).

على أن التعجيز ليس فقط في دقة المبنى وروعة النظم بل وفي شرف المعنى، وإلا فإننا نجد محاولات لتقليد قوالبه اللغوية ولكن بمضمون ركيك ومتهافت كما قال مسيلمة الكذاب مدعي النبوة [والزارعات زرعا .. والحاصدات حصدا .. والخابزات خبزا .. والآكلات أكلا .. ثم سكت] لأنه يعلم ما بعد الأكل.

فقيل طرافة: نزل القرآن على قلب رسول الله ونزل قرآن مسيلمة على بطنه.

---

[1] الجامع لأحكام القرآن – المؤلف أبو عبد الله شمس الدين القرطبي (المتوفى: 671 هـ)– تحقيق هشام سمير البخاري – دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية – الطبعة: 1423 هـ/ 2003 م (6/ 31).

**من مظاهر الإعجاز:

– قيام القرآن الكريم مقام الأنبياء فلابد من إقامة الحجة على الأمم: **{لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ}** [النساء: 165] ..فكان القرآن دليل قدرة الله على إظهار معجزات الأنبياء بلا أنبياء بل بالكتاب المنزل على النبي الخاتم صلى الله عليه وسلم فحمل كتاب الله العزيز لكل زمان معجزاته .. بعد إعجاز الجاهلين .. جاءت النبوءات منها الفتوحات .. ثم جاءت دلائل إعجازه في العصر الحديث بتوافق المكتشفات مع أنبائه وقد تحدث القرآن الكريم أنه لكل زمان فقال: **{بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ}** [يونس: 39] أي لم يأت زمانه بعد وقال: **{لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ}** [الأنعام: 67] أي وقته المحدد .. وقال في الكفار بصيغة المستقبل:

{سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ} [فصلت: 53].: **{وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ}** [النمل: 93].

من مظاهر الإعجاز أيضا أن كل الكتب القديمة تعرضت للتحريف بعد النبي المرسل بزمن قصير ففي القرن الرابع الميلادي حين تحول ملك بيزنطة قسطنطين الأول إلى النصرانية جمع نحو 400 إنجيل مختلف وشكل لها مجمعا في مدينة نيقية عام 325م ليختاروا ما يتوافق مع عقيدته الوثنية فاختاروا منها أربعة لأربعة مؤلفين شبه مجهولين لأن أحدا لايعرف حتى الاسم الثاني لكل منهم.

فيما يستمر القرآن الكريم وسيبقى محفوظا بهذه الآية الإعجازية: **{إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ}** [الحجر: 9] فهل وجد الناس أن هذا تحدي البقاء قد أبطله الزمان أو طالعه أيدي العابثين؟ لقد حاولوا على مدار التاريخ التلاعب فيه ولكنهم لم يغيروا منه حرفا واحدا.

– ومن دلائل الإعجاز أن كل الكتب السماوية نزلت بلغة ثم اندثرت لغاتها مثل لغة الإنجيل الذي كتب بالآرامية لغة عيسى عليه السلام ولم يعد لها وجود إلا في بعض الطقوس الكنسية وبقي القرآن إلى اليوم يتلى بنفس اللغة وكيف تتغير لغته وهو الذي قال: **{إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ}** [الزخرف: 3]: **{كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ}** [فصلت: 3]: **{قُرآناً عَرَبِيّاً غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ}** [الزمر: 28]. فلو اختلفت

لغته لانتهى شرط التعقل والتعلم والتقوى لأن القرآن ربط ذلك باللغة العربية .. فكتب لهذه اللغة بفضل القرآن الكريم تاريخا ممتدا إلى 1400 وستبقى ما بقي القرآن .. من هنا فإن تعلم اللغة العربية ودراستها والعناية بها دين يتعبد إلى الله تعالى بها.

–ومن دلائل الإعجاز أنه لا يخلَق على كثرة الرد فكل النصوص يمل قارئها وسماعها بعد قراءتها لثلاث أو أربع مرات لكنك تقرأ الفاتحة في اليوم ما لا يقل عن [17] مرة ولا تملها .. أم هل وجدت من تسخَّط أو تبرم من تكرارها أو جعلها موضع تندُّر وتفكُّه؟

– ومن دلائل إعجاز كتاب الله الكريم دقة الإحكام وعدم الاختلاف والتناقض، روى الفخر الرازي في تفسير مفاتيح الغيب وغيره عن الأصمعي أنه قال الأصمعي كنت أقرأ سورة المائدة ومعي أعرابي، قول الله تعالى: {**وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُواْ أَيْدِيَهُمَا جَزَاء بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللهِ وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**} [المائدة: 38] فقرأت هذه الآية فقلت: {و الله غفور رحيم} سهوا بدل: {والله عزيز حكيم}، فقال الأعرابي: كلام من هذا؟ فقلت كلام اللَّه. قال أعد، فأعدت: {و اللَّه غفور رحيم}، ثم تنبهت فقلت وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ فقال: الآن أصبت، فقلت كيف عرفت؟ قال: يا هذا عزيز حكيم فأمر بالقطع فلو غفر ورحم لما أمر بالقطع.

** معنى: سميع بصير.

سميع عليم.

هذه الخواتم ليست مجرد قفلة بلاغية .. أو فواصل سياقية بل لها تناسب متين الاتصال بالمعنى ولعلك كثيرا ما تجد نحو: {والله سميع بصير}: {والله سميع عليم} إن صيغ المبالغة هذه جمعت كل مظاهر الرقابة الإلهية فهو سميع يسمع ما تقول .. وبصير يبصر ما تفعل .. وعليم يعلم بما في الصدور .. فهي للرقابة عنوان الإحاطة والشمول.

المحاضرة الثانية: صور من الإعجاز في:

(دقة اختيار الألفاظ)

في القرآن الكريم لا مجال للمعنى الحسن إذا كان الأحسن هو الأوفق للسياق، فدقة التعبير صورة إعجازية بحيث لو عدلت عنها لفات الشيء الكثير من المقاصد الدلالية، قد يترتب عليها أحكام وقواعد وتناقض تمس بقدسية النص القرآني ونضرب لذلك جملة من الأمثلة:

** المثال الأول:

يقول جل ثناؤه: **{الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقاً مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ}** [الملك: 3].

قبل أن نتحدث عن الآية [4] من سورة الملك فإن الآية السابقة تدعو لا إلى النظر العابر نحو السماء الذي لا يخلو أن ينظر إليها الإنسان مرات ومرات بدون إمعان، ولكن النظر هاهنا هو الندب إلى النظر الفلكي البحثي الذي يسفر عن الوصول إلى دقة تصميم السماء وعظيم تكاملها وتوازنها والذي لا تظهر نتائج النظر المجرد لمرة ولا مرتين ولا ثلاث بل مرات ومرات إنه يشير إلى البحث العلمي الاستقصائي والدعوة البحثية إلى خلق السماء لا تتحصل إلا عبر المرئيات العملاقة التي باتت ترصد كل شيء في السماء مثل (تلسكوب هابل) والدليل الدعوة إلى تكرار البحث بالنظر فمهما أمعنوا في الدراسة والفحص والتدقيق لن يخرجوا في بناء النجوم والمجرات وأفلاكها إلا بنتيجة واحدة وهي الدقة والإحكام والتوازن كما قال تعالى: **{وَالسَّمَاء رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ}** [الرحمن: 7] فلا خلل ولا اضطراب مفض إلى دمار الكون وانفراط عقد نظامه، يؤكد هذا المعنى الآية التي تليها.

{ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِأً وَهُوَ حَسِيرٌ} [الملك: 4] قال ابن جرير الطبري – رحمه الله – (ثم ارجع البصر كرتين): "ثم رد البصر يا ابن آدم (كرتين) مرة بعد أخرى، فانظر، هل ترى من فطور أو تفاوت.

(ينقلب إليك البصر خاسئا) يقول: يرجع إليك بصرك صاغرا مبعدا (وهو حسير) يقول: وهو مُعي كال. حسر طرفه أن يرى فيها فطرا فرجع وهو حسير قبل أن يرى فيها فطرا

والواقع أن ثمة إضافة وهي الدعوة إلى محاولة معرفة ما وراء الكون المنظور الذي اسموه ب(الكون المظلم) فإن معرفته فوق حدود قدرات البشر فمهما اجتهدوا في كشف ما وراء كوننا لن يهتدوا إلى ذلك بل سيعود النظر كل مرة خاسئا وهو حسير .. وما يكاد يمر عقد من الزمن حتى تتغير حساباتهم الفلكية لعدد المجرات ونجومها .. فكلام من هذا؟ إنه كلام الله الإعجازي وتحديه للبشر ولعلماء العصر الحديث تحديدا الذين يقفون حائرين أمام عظم خلق السماء وصدق القائل: **{أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا}** [النازعات: 27] وقال: **{لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ}** [غافر: 57].

** المثال الثاني:

الفرق بين (فاجتنبوه) و"لا تشربوه".

لماذا قال الله تعالى في الخمر والميسر .. الخ (فاجتنبوه) بدل "فلاتشربوه" وفي الزنا (ولا تقربوا الزنا) بدل "ولا تزنوا"؟

قال تعالى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}** [المائدة: 90].

ظهر أناس يقولون إن الله إنما أمر باجتناب الخمر ولم يقل لا تشربوا، والحقيقة لو قال "فلاتشربوه" لم يمنع أن يصنعوه .. وأن يحملوه .. وأن يبيعوه .. وأن يشتروه .. وأن يأخذوا أرباحه .. ولم يكن نجسا عينا إلى آخر ذلك، وهذا كله محرم في الشرع بالأدلة الصحيحة لكن قال (فاجتنبوه) أي ابتعدوا عن كل ما يتصل بالخمر مما سبق ومن باب أولى الشرب.

وأنت إذا قلت (لا تمش مع ابن فلان) فإنه لا يمنع الكلام معه .. ومراسلته .. والحديث عنه إلخ أما لو قلت (اجتنب ابن فلان) فيلزم ترك ما يتصل به من قريب أو بعيد وهذا في اللغة العربية واضح فالاجتناب يفيد الابتعاد.

ثم إذا كان الاجتناب يعني فقط تحاشوه ما استطعتم فهل يجوز أن نعبد (الأنصاب) المذكورة في آية تحريم الخمر ويندب فقط تحاشيها؟ ألم يقل ربنا: **{فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ}** [الحج: 30] وحرم الشرك بكل صوره قال (ولا تشركوا به شيئا).

ومثل ذلك قول الله: **{وَلاَ تَقْرَبُواْ الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاء سَبِيلاً}** [الإسراء: 32] فلو قال "لا تزنوا" لكان خطأ تشريعيا لأن اللفظ لن يمنع مقدمات الزنا من النظر .. والدردشة في الحرام .. والمراسلة .. والمغازلة .. والتقبيل .. والاحتضان .. ونشر الصور .. لكنه قال (ولا تقربوا) أي ابتعدوا عن كل ما يقود إلى معصية الزنا وأنت إذا قلت "لا تدخل ذلك المعسكر" لم يمنع أن تمر ملاصقا له أما أن تقول (لا تقرب ذلك المعسكر) فيعني اجعل بينك وبينه حاجزا ومسافة.

ومثله: **{لاَ تَقْرَبُواْ الصَّلاَةَ وَأَنتُمْ سُكَارَى}** [النساء: 43] قال الشيخ محمد رشيد رضا: "والنهي عن العمل بهذه الصيغة يتضمن النهي عن مقدماته، ومن مقدمات الصلاة الإقامة، فقد سنها الله لنا لإعدادنا للدخول في الصلاة [(1)].

** المثال الثالث:

لماذا يستخدم القرآن (الزوج) في مواضع و(المرأة) في مواضع أخرى؟.

من دلائل إعجاز القرآن الكريم تناوله المعجز لقانون الزوجية الذي يشمل كل شيء من الذرة وما دونها إلى المجرة وما فوقها قال تعالى: **{وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ}** [الذاريات: 49].

فالزوجية تعني التكاملية بين طرفين مفتقرين فإذا اجتمع القطبان كونا اتِّحادا وانتظاما وجوديا، ولا يتصور وجود أحدهما بدون وجود الآخر وهنا بعد عقائدي وهو إذا كان كل ما في الوجود مفتقرا لطرف آخر يكمله فذلك يعني أن طرفا من كل هذه المخلوقات لم يخلق ذاته فلو خلقها لخلقها كاملة فمن خلق كل شيء؟ إن الذي خلق الطرفين المفتقرين هو طرف ثالث، هذا الطرف الثالث لا ينبغي أن يكون هو أيضا مفتقرا لطرف ثان فلا يكمل المفتقر

---

(1) تفسير المنار تفسير القرآن الحكيم – المؤلف: محمد رشيد بن علي رضا الحسيني (المتوفى: 1354هـ) – الهيئة المصرية العامة للكتاب– سنة النشر: 1990 م (5/ 92).

مفتقرا آخر بل يجب أن يكون أحدا لا ثاني له ولا ند له إنه الذي وصفه نفسه ب**{قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ}** [الصمد: 1–4].

من هنا فلما كانت الزوجية تعني الاتحاد، والتكامل، والمودة، والانسجام، والانجاب، فقد عبر الله عن حليلة الرجل بالزوج حين توفر معاني الزوجية المتكاملة وبالمرأة حين تنتفي شروط التكامل وهذا ملموس من نصوص الآيات فالله عبر عن زوج نوح ولوط وهما كافرتان بالمرأة فقال: {**ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا اِمْرَأَةَ نُوحٍ وَاِمْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ}** [التحريم: 10] وكذا امرأة العزيز التي خانته ولم تكن تنجب: {**وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ}** [يوسف: 30].

ولمَّا كانت امرأة زكريا عاقرا سماها امرأة فقال: **{قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِراً}** [مريم: 8].

ولما أصلح الله زوجه عاد فعبر عنها بالزوج فقال: **{فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ}** [الأنبياء: 90].

** المثال الرابع:

يأتي الفعل نزل بصيغ مثل (نزَل – نزَّل – تنزل – تتنزل) أنزل لمرة واحدة–
{نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ} [الشعراء: 193].

أما بالتشديد فتفيد التكرار قال تعالى: {نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا} [آل عمران: 3].

فصيغة (فعّل) تفيد التدرج تقول: (أنت تعمّر المدن) و(تحبّب إلينا الخير) يعني تفعل ذلك بشكل متوال كما جاء في سورة آل عمران: **{نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ}** [آل عمران: 3] وقال: **{وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِيَ أَنزَلَ مِن قَبْلُ}** [النساء: 136] وقوله تعالى: **{وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ}** [آل عمران: 3] جاء التنزيل على النبي صلى الله عليه وسلم بتضعيف وتشديد الفعل لأنه نزل عليه القرآن

منجماً وصيغة نزّل تفيد الاهتمام، أما في قوله تعالى: {وأنزل التوراة والإنجيل) جاء الفعل أنزل لأنه نزل جملة واحدة.

ومنه اختلاف الفعل في سورة القدر: **{تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ}** [القدر: 4] مع سورة فصلت: **{إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ}** [فصلت: 30].

قال في سورة القدر (تَنَزَّلُ) بالتشديد وفي سورة فصلت (تتنزّل) وكلاهما بالفعل المضارع والفعل المضارع يفيد تصوير الحدث لكن الصيغتين مختلفتان، ففي (سورة القدر) فيها نزول طوال الليل ولكنه ينتهي بعد ذلك إلى ليلة القدر الثانية، أما نزول الملائكة لقبض أرواح المؤمنين فهو جار في كل لحظة فكانت الزيادة في مبنى الفعل أكثر قال (تتنزّل).

المحاضرة الثالثة: صور من الإعجاز في:

(التقديم والتأخير)

وهذه نماذج من صور الإعجاز القرآني في بنية النظم التركيبي ومنه التقديم والتأخير

- فالأصل أن يبدأ الكلام [بالفعل + ثم الفاعل + ثم المكمل (الفضلة)] وهي الأسماء المنصوبة.

-والأصل أن يبدأ الكلام في الجملة الاسمية [بالمبتدأ + ثم الخبر + ثم الفضلات].

فإذا جرى الكلام على الأصل فغالبا ليس فيه بلاغة بل مجرد إخبار.

وإذا قدم ما حقه التأخير فقد عدل عن الأصل وإنما يكون العدول عن الأصل لغرض دلالاي.

ومن صور التقديم:

- تقديم شبه الجملة على الفعل أو المبتدأ.
- تقديم الفضلة على العُمْدة.
- تقديم المسؤول عنه ليكون تاليا للنفي أو الاستفهام.

وكل ذلك ينتج عنه أبعاد دلالية مختلفة وعلى النحو التالي:

** التقديم للاهتمام ومناسبة السياق:

** المثال الأول:

تقديم هارون على موسى عليهما السلام:

ذكر في القرآن الكريم موسى قبل هارون عليهما السلام في [7] مواضع إلا

في سورة طه قال تعالى: **{فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدٗا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ}** [سُورَةُ طه: ٧٠].

فلماذا ذكر هارون هاهنا قبل موسى؟ قبل الإجابة على السؤال فما هو معروف هو أن كلمة (رب) صفة مشتركة بين الله وغيره ممن يربي أحدا من الناس وهم يقولون "هذا رب البيت" وقال عبد المطلب: " أنا رب إبلي وللبيت رب يحميها" قال تعالى على لسان يوسف عليه السلام: {**ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ ذِكۡرَ رَبِّهِۦ**} [سُورَةُ يُوسُفَ:42].

من هنا لو قال السحرة "آمنا برب موسى وهارون" لظن أهل مصر أن السحرة آمنوا برب موسى وهو فرعون الذي رباه فقد قال لموسى: {**قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ}** [الشعراء: 18].

ولربما جعل منها فرعون مدخلا للمغالطة وقال للناس أرادوا أنهم آمنوا بي لكنه لما ذكروا هارون قبل موسى **{قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ}** [طه: 71].

في حين جاء في سورة الأعراف: **{قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ * رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ}** [الأعراف: 121- 122].

بدأ بموسى لأنه سبق توضيح أنهم سجدوا لرب العالمين لا لسواه ثم جاء بدل البعض من الكل (رب موسى وهارون) وبهذا التقييد زال اللبس، ولذلك قال فرعون **{قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ} [الأعراف: 123]**

** المثال الثاني:

تقديم شبه الجملة وتأخيرها على الفعل:

جاء في سورة القصص قوله تعالى : **{وَجَاء [[رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ]] يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ}** [القصص: 20].

وفي سورة يس: {وَجَاء [[مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ]] يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ} [يس: 20].

فما الفرق بينهما؟

أما في سورة القصص فالمعنى جاء رجل يسكن في أقصى المدينة فقوله (جاء رجل من أقصى المدينة) صفة لرجل أي صفته أنه من أقصى المدينة فشِبه الجملة متعلقة بالفعل (يسكن) مثلما تقول (جاء رجل من الصومال) (جاء طالب من مصر) أي أنه من أهل الصومال.

أما الآية في سورة يس ف(جاء من أقصى المدينة رجل) شبه جملة متعلق بالفعل (جاء) وليس بالفعل (يسكن) أي أن مجيئه كان من أقصى المدينة مثلما تقول (جاء من الصومال رجل) و(جاء من اليمن طلاب) و(جاء من السعودية حجاج) أي قدموا منها وليس أنهم ساكنون فيها.

وتقديم شبه الجملة يدل على الاهتمام بأنه جاء من مكان بعيد لنصرتهم وعدم تعلق شبه الجملة بالسكن يشير إلى أن (حبيب النجار) كان دوره رسالي ولذلك نعته في الجملة أنه يسعى فهو متنقل ولم يكن سعيه لغاية محددة والعودة إلى مسكنه بل حماية الرسل فهو يدرك أن هؤلاء الرسل مهددون بالقتل لأن هؤلاء القوم من سياق الآيات يدل على أنهم شرسون وكذلك ليواصل دعوته إلى الله والله أعلم ولذلك كانت نهايته القتل.

****المثال الثالث:**

قال تعالى في سورة الأنعام: **{وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلاَدَكُم مِّنْ إمْلاَقٍ [[نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ]]}** [الأنعام: 151].

وقال تعالى في سورة الإسراء: **{وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ [[نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُم]]}** [الإسراء: 31].

أما سورة الأنعام فالإملاق وهو الفقر حاصل أي قد نزل بهم، فيريدون التخفيف منه بالتخفيف من العول والمعنى لا تقتلوا أولادكم من الإملاق الذي أنتم فيه ف(من) هنا تفيد السببية أي بسبب الإملاق أي الفقر.

ولما كان القتل بسبب الفقر قدم (نرزقكم) على (إياهم) تطمينا لهم من الفقر فالسبب ليس الأولاد بل الفقر والمعنى سنتكفل برزقكم ولن يكون الأولاد على حساب رزقكم.

أما التي في سورة الإسراء فالفقر غير واقع لكن الخشية أن يأتي الفقر بسبب الأولاد فقدم (نحن نرزقهم) على (إياكم) أي إذا كان سبب الخوف هم الأولاد فرزقهم مضمون لا تقلقوا ففي تقديمهم كفالة لرزقهم.

** المثال الرابع:

تقدّيم السمع على البصر:

المعلوم أن الأكثر في القرآن تقديم السمع على البصر قال تعالى: **{وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا}** [الإسْرَاء:36]

وتكررت "**{إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ}** [الحج:75] وقال: **{صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٌ}** [البقرة: 18] والآيات كثيرة.

وذلك لأن السمع:

- أهم من البصر في التكليف والتبليغ وتلقي الأحكام الشرعية .. فدعوة الأنبياء والمصلحين وتلاوة الآيات والمواعظ تأتي عبر السمع أما فاقد السمع فيصعب تبليغه، ولذلك ستجد ممن عُدم البصر العلماء والنوابغ والشعراء وليس كذلك الصم.
- لأن الذي يسمع، يسمع من الجهات الست، وإذا حيل دونه بحائل فإنه يسمع، والذي يبصر لا يرى إلا من أمامه، وإذا حيل بينه وبين ما يرى حجبت الرؤية عنه.
- لأن كثيرا ما يصاحب الصّممَ البَكَم فقد يكون الصمم عاهة يقل معها بعض مسؤوليات التكليف وهذا نقص عن الكمال.
- لأن العلم الحديث أثبت أن السمع ينشأ في الإنسان قبل البصر في التكوين.

لذلك فتقديم السمع هو الأصل وإذا تقدم البصر على السمع فهو لغرض بياني يفرضه مقام جديد وعلى النحو التالي:

** تقديم البصر على السمع:

وفي آيات أخرى قدم الله عز ثناؤه البصر على السمع في بعض السور خلاف الأصل قال في سورة الأعراف: **{وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا**

[[وَلَهُمۡ أَعۡيُنٞ لَّا يُبۡصِرُونَ بِهَا وَلَهُمۡ ءَاذَانٞ لَّا يَسۡمَعُونَ بِهَآۚ]] أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ} [الأَعۡرَاف: ١٧٩].

فالكفار هاهنا غير متلقين عن طريق السمع بل هم مخاطبون بتفعيل حاسة النظر في كتاب الله المشهود فنص الوحي يتحدث عن فاعليتهم، وفاعليتهم يكون بالبصر والتدبر في آيات الله .. وأما سمع فيكون لتلقي الوحي والوعظ ونحوه، وهذا معزز بكثير من الآيات التي تحض على إعمال النظر للتفكر في الآيات المبثوثة مثل **{فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ}** [الطارق: 5] **{أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ}** [الغاشية: 17] فالبصر أعنى هاهنا بالاهتمام من السمع فقدمه على السمع.

ثم قال إنهم أضل من الأنعام لأن الأنعام لا تتصرف بالمجردات السمعية بل حسب ما تراه فإذا قيل لها إن خلف الجبل أسدًا لن تعقل ما تقول فإذا رأت الأسد عقلت ما تراه لكن الضال لا يعقل بسمعه ولا يعقل ببصره.

وقد يقول قائل فما قولك في قوله تعالى: **{أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَتَكُونَ لَهُمۡ قُلُوبٞ يَعۡقِلُونَ بِهَآ أَوۡ ءَاذَانٞ يَسۡمَعُونَ بِهَاۖ فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ}** [الحج: 46].

والسؤال هو يسيرون في الأرض يفعلون ماذا؟ يتفكرون ..والتفكر يكون عن طريق النظر كما قال تعالى: **{قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ بَدَأَ ٱلۡخَلۡقَۚ}** [العنكبوت: 20].

أما لماذا لم يذكر النظر في سورة الحج فالجواب أنه معلوم من السياق والدليل نهاية الآية **{فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ}**

وهناك أسباب أخرى لتقديم البصر على السمع غير التفكير كما في سورة السجدة قال تعالى: **{وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُؤُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا [[أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا]] فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً إِنَّا مُوقِنُونَ} [السجدة: 12] ذلك لأن الكلام هاهنا عن المجرمين الذين كانوا في الدنيا يسمعون عن القيامة ولايرونها وكانوا يشترطون عين اليقين لا علم اليقين وعين اليقين إيمان حسي وهو شأن الأطفال والدواب فالطفل لاتوجد لديه معالجات عقلية كبرى فإذا قلت له هذه النار تحرق لا تقربها فلن يفر منها إلا عند لمسها وإذا قلت للدابة إن خلف هذا الجبل مفترسا لا تقربه، فلن يفر منه إلا حين يراه؛ لذلك يقول الله للكفار إن

الإيمان الحسي (عين اليقين) لا يكون يوم إلا القيامة لذلك قال: **{لَتَرَوُنَّ ٱلۡجَحِيم * ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عيۡنَ ٱليَقِيۡن}** [سُورَةُ التَّكَاثُرِ: ٦-٧].

فهناك المجال مجال بصر ومعاينة حسية لذلك قال (أبصر بهم واسمع).

أما حق اليقين فهو معايشة الشيء والإحاطة به ويكون ذلك بدخولهم جهنم قال المولى: **{وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُكَذِّبِين ٱلضَّآلِّين * فَنُزُلٌ مِّنۡ حَمِيمٍ * وَتَصۡلِيَةُ جَحِيم * إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلۡيقين}** [الوَاقِعَةِ: ٩٢-٩٥].

وفي آية سورة الكهف قال المولى تعالى: **{قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا. لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ [[أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ]] مَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَداً}** [الكهف: 26].

والسبب يعود إلى أن باعث خوف الفتية وهروبهم هو من أن يراهم أحد لذلك لجأوا إلى الكهف لتغييب أنفسهم عن تتبع الكفار وفتنتهم عن دينهم فإذا كان باعث خوفهم هو أعين الملك وسلطته فالله يقول ما أبصره بهم وأسمعه فهو الذي سيحرسهم بعنايته فبصره أعظم من بصر أعدائهم وسمعه أعظم.

ثانيا- التقديم بهدف القصر:

المراد بالتقديم بهدف القصر أي قصر موصوف على صفة أو قصر صفة على موصوف.

فرق بين:

- كتابي عندك .. مجرد إخبار .. و:
- عندك كتابي. تقديم الخبر على المبتدأ جار مجرى (ما كتابي إلا عندك).

** المثال الأول:

قال الله تعالى: **{إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ}** [الغاشية: 25-26] لو قال "إن إيابهم إلينا" لم يمنع أن يكون إلينا وإلى غيرنا.

ومنه: {إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ} [القيامة:30].

إلى الله حصراً لا إلى جهة أخرى. لو قال: "المساق إلى الله" ليس فيها حصر وقد يحتمل أن ترجع إلى شيء آخر.

** ومنه في الجملة الفعلية دعاء النبي صلى الله عليه وسلم ": اللهم عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير" أي ما وكلت إلا عليك ..إلخ

ومن ذلك: {ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ} [السجدة:11] أي إلى ربكم لا إلى غيره

وقال: {وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ} [البقرة: 210]:

وهنا تفيد قصر معنيين على الله أي لا ترجع أمور الناس في الدنيا ولا يقضي بحكمه إلا هو.

والثاني إلى الله وحده ترجع الخلائق يوم القيامة وإليه فيها يؤول أمرهم.

** المثال الثاني:

ومن ذلك قول آسيا بنت مزاحم عليها السلام زوج فرعون: {رَبِّ ٱبۡنِ لِي [[عِندَكَ بَيۡتٗا]] فِي ٱلۡجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرۡعَوۡنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ} [التحرمي: 11].

فلماذا لم تقل رب ابن لي بيتا عندك بدل عندك بيتا؟

و لماذا لم تقل رب ابن لي بيتا في الجنة وكفى بل قالت عندك؟

ولماذا طلبت بيتا تحديدا ولم تطلب شيئا آخر؟

أولا لو قالت "رب ابن لي بيتا عندك" فيكون المعنى أنها تريد بيتا عنده في الآخرة ولا يمنع أن يكون لها بيت عند غيره في الدنيا ..أما (عندك بيتا) فيفيد اختصاص البناء عند الله وحسب.

أما لماذا قالت عندك ولم تكتف بالجنة؟ فلأنها تريد أن تفر من جوار ملك الدنيا وغناه إلى جوار الله وغناه فاختارت جوار ملك السماء على ملك الأرض.

أما لماذا ذكرت البيت تحديدا؟ فله بعدان:

أولا– لكون البيت هو ستر المرأة وكنفها وبيت المرأة جنتها ولذلك قال الله على لسان جبريل في أمنا خديجة رضي الله عنها قال "بشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيها

ولا نصب" [متفق عليه] ولم يبشرها بغير ذلك وإن غيرها من نعيم المؤمنات في الجنة لكثير ولكن البيت هو الأهم.

ثانيا – يفسر اختيارها للبيت اهتمام ملوك مصر وعنايتهم العظيمة بفخامة البناء وتكاليفه ورفاهيته وتصميمه المذهل وعلى ذلك شواهد الأهرامات والمسلات العملاقة .. والتماثيل الصخرية فتركت هذا البهرج المعماري واختارت ما عند الله تعالى .. فانظر إلى دقة كلام الله وإعجازه البياني في اختيار التركيب واختيار اللفظ الموافق للمعاني بدقة متناهية.

** المثال الثالث:

تقديم الحال

لو قلت: (حضر المدير غاضبا) فهذا مجرد إخبار أما قولك:

– غاضبا حضر المدير.

أي "ما حضر المدير إلا غاضبا" وفيه رد على من نفى أو شكك في عودته غاضبا.

ومنه قوله تعالى: **{خُشَّعًا أَبۡصَـٰرُهُمۡ يَخۡرُجُونَ مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ كَأَنَّهُمۡ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ}** [سُورَةُ القَمَرِ: ٧] أي ما يخرجون إلا خشعا مستسلمين لا كالدنيا متشامخين ومعاندين.

** وفي باب القصر بغير تقديم ما حقه التأخير قول المولى تعالى: **{إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ}** [فاطر: 28].

فيه قصر خشية الله على العماء ونفي من عداهم وهم الجهلاء.

ولو قال إنما العلماء يخشون الله ففيه قصر صفة الخشية على الله وحده لم يصح فهم يخشون الله لكنهم بحكم طبعهم البشري قد يخشون غير الله خشية رهبة وذعر.

**المسؤول عنه بعد النفي والاستفهام:

في اللغة العربية الأصل أن يلي النفي والاستفهام المسؤول عنه مباشرة فإذا قلت:

ما بنيت الدار .. النفي وقع على الفعل لأنه ولي النفي مباشرة فهو ينفي وقوع الفعل من أساسه أما لو قال:

– ما أنت بنيت الدار. فالنفي للفاعل أما الفعل فقد تم، ولو ولِيَ النفي أو الاستفهام فضلة لكان هو المسؤول عنه مثل (أراكبا عاد المسافر؟) فالسؤال عن الحال كيف كان أما الفعل قد تم.

ولو قلت (أنا من فعل هذا) فهو يفيد لاسواي .. لايصح /وزيد/ لأنك كمن يقول ما فعل هذا إلا أنا لا سواي .. قصرت الفعل عليك وحدك ثم تقول وزيد والصحيح أن تقول (من فعل هذا أنا وزيد).

ولما كان قد تم تحطيم الأصنام لم يسأل قوم إبراهيم عليه السلام عن الفعل لأنه قد وقع بل سألوا عن الفاعل **{قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ}** [الأنبياء: 62] ولو قالوا "أفعلت أنت" لكان خطأ.

ولما أراد أن يعرف آزر عن موقف إبراهيم عليه السلام من الأصنام أيحبها أم يبغضها قال: **{قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ}** [مريم: 46] سأل عن الرغبة فقدمها تاليا لهمزة الاستفهام.

ومن ذلك قوله تعالى و(ما أنتم له بخازنين) في قوله: **{وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ}** [الحجر: 22].

ففي قوله (وما أنتم) حصر فاعلية الخزن على الله بنفي غيره لا أنتم والمراد خزن الماء في جوف الأرض من ملايين السنين الذي واجه احتياج الخلق اليوم حين تضخم عددهم وهي رحمة منه، وفي قوله (وما أنتم له بخازنين) ولم يقل "وما أنت بخازنين له" تقديم شبه الجملة يفيد اختصاص الله بخزن الماء تجديدا ولهم أن يخزنوا ما سواه ومنه توكيد النفي بالباء الزائدة أي لم يقل "وما أنتم له خازنون"

– وهنا يتأكد أن السدود المائية ليست خزنا بل حبس ماء فهي حواجز لا خزانات، وإذا سُمّيت (خزانات) فمن باب المجاز، وكونها ليست خزانات من أنه لولم يستمر تغذيتها بروافد الماء كالسيول والأنهار سوف لن يبقى ماء .. سيتبخر فأين الخزن .. فهي مجرد حواجز أي تحجز الماء عن الجريان وتنظيم حركته والخزن "هو أن يحرز الإنسان لنفسه ما لا يذهب منه إلى غيره".

كذلك الآبار المنزلية ليس خزنا بل هو تجميع للانتفاع المؤقت به مثل تجميع الماء في البراميل، كما لا يسمى الماء في علب الصحة خزنا وفي لسان العرب "خزن الماء إذا غيبه"[(1)]

وإنما تغيب الماء في الأحواض الجوفية ولا يغيب فيما سواها فمتى ظهر صار في متناول الإنسان والطير والحيوانات والنبات .. وامتنع عن التخزين ولأن توافره ورخصه وتعرضه للتغير يجعل فكرة خزنه في براميل مغلقة لسنوات غير مألوف ولا معروف عند الناس وإنما يخزن المال والحبوب ونحوه.

– وما يلزم لحظه أيضا هو التضمين في قوله تعالى (فأسقيناكموه) إذ إن تعدية الفعل إلى المخاطبين يُشرِب المبنى معنيين وهو سقيهم وسقي غيرهم وأنهم إذ يستقون منه أيضا ليسوا له بخازنين في بطونهم كما يخزنون الطعام الكثير لوقت أطول بل سينفلت منهم سريعا بقنوات الإخراج المختلفة فاختيار النظم الكريم للفظة بدل الاقتصار على الزرع والأنعام يفيد ذلك برأيي ولا يمنعه.

أخيرا نأخذ من هذا أن القرآن الكريم احتفظ بأسلوب التقديم والتأخير ولو كتب الوراقون الآيات بدون تقديم لم يكن ليفطن إليها القارئ للقرآن فلو قال "ابن لي بيتا عندك" لم يفرق ولو قال "نحن نرزقهم وإياكم" لم يفرق لدى القارئ ولو قال " يخرجون من الأجداث خشعا أبصارهم " لم يكن ليلحظ الفرق عند القارئ العادي ولكن الله حفظ القرآن من التحريف والتلاعب رغم سهولة ذلك في مئات المواضع.

وهنا يذكر أن رجلا دخل على مجلس المأمون في قصة رويت عن أبي الحسن علي بن عبد الله بن إبراهيم الهاشمي ببغداد، قال: حدثنا أبو علي عيسى بن محمد بن أحمد بن عمر بن عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج الطوماري، قال: حدثنا الحسن بن فهم قال: سمعت يحيى بن أكثم يقول: " كان للمأمون وهو أمير إذ ذاك مجلس نظر، فدخل في مجلس الناس رجل يهودي حسن الثوب حسن الوجه طيب الرائحة قال فتكلم فأحسن الكلام العبارة قال: فلما أن تقوض المجلس، دعاه المأمون فقال له: إسرائيلي؟ قال: نعم قال له: أسلم حتى

---

(1) لسان العرب الغريب والمعاجم ولغة الفقه– المؤلف: محمد جمال الدين ابن منظور الأنصاري (المتوفى: 711هـ) – الناشر: دار صادر – بيروت – الطبعة: الثالثة – 1414 هـ (ص ١٣٩).

أفعل بك وأصنع، ووعده فقال: ديني ودين آبائي، فانصرف، فلما كان بعد سنة جاءنا مسلما قال: فتكلم على الفقه، فأحسن الكلام.

فلما أن تقوض المجلس دعاه المأمون فقال له: ألست صاحبنا بالأمس؟ قال له: بلى، قال: فما كان سبب إسلامك؟ قال: انصرفت من حضرتك فأحببت أن أمتحن هذه الأديان، وأنا مع ما تراني حسن الخط ، فعمدت إلى التوراة.

فكتبت ثلاث نسخ فزدت فيها ونقصت، وأدخلتها الكنيسة فاشتريت مني، وعمدت إلى الإنجيل ، فكتبت ثلاث نسخ فزدت فيها ونقصت، وأدخلتها البيعة فاشتريت مني، وعمدت إلى القرآن فعملت ثلاث نسخ، وزدت فيها ونقصت، وأدخلتها إلى الوراقين، فتصفحوها، فلما أن وجدوا فيها الزيادة والنقصان، رموا بها فلم يشتروها فعلمت أن هذا كتاب محفوظ، فكان هذا سبب إسلامي [دلائل النبوة للبيهقي 159].

المحاضرة الرابعة: صور من الإعجاز في:

(الحذف والذكر)

وسنبدأ بالحذف لأنه عدول عن الأصل وإنما تكون البلاغة في الخروج عن الأصل لأغراض عدة كما سيأتي.

والمراد بالحذف: هو حذف مكون نحوي لعدة مقاصد منها دلالية ومنها لغوية والحذف باب إلى روائع الإبداع كما قال عبد القاهر الجرجاني: "هو بابٌ دقيقُ المَسْلك، لطيفُ المأخذ، عجيبُ الأمر، شبيهٌ بالسِّحْر، فإنكَ ترى به تَرْكَ الذِكْر، أَفْصَحَ من الذكْرِ، والصمتَ عن الإفادةِ، أَزْيَدَ للإفادة، وتَجدُكَ أَنْطَقَ ما تكونُ إذا لم تَنْطِقْ، وأَتمَّ ما تكونُ بياناً إذا لم تبن[1] .. ومن الدلالي:

-الاتساع في المعنى أي (العموم والشمول).

-إزالة الاحتمال.

- تعظيم الأمر وتهويله.

-مراعاة للمقام.

ومن السبب اللفظي في الحذف:

-الإيجاز.

-العلم بالمحذوف.

وغير ذلك.

ومن دلالات الذكر:

---

(1) دلائل الإعجاز دلائل - المؤلف: أبو بكر عبد القاهر الجرجاني (المتوفى: 471هـ) - المحقق: محمود محمد شاكر أبو فهر - الناشر: مطبعة المدني بالقاهرة - دار المدني بجدة - الطبعة: الثالثة 1413هـ - 1992م (1/ 146).

-التوكيد.

-التقرير.

-لفت الانتباه.

-التوبيخ.

- التهويل.

- الاهتمام.

- إزالة الشك.

- إزالة الاحتمال.

ونتناولها كما يلي:

** الحذف للتوسع:

(حذف المفعول به)

** المثال الأول:

يكثر حذف المفعول به للتوسع والمراد بالتوسع فتح الباب بحذف الكلمة لتقديرات كثيرة صالحة ولو ذكر المحذوف لتم تقييد المعنى بكلمة واحدة.

من ذلك قول الله تعالى: **{وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ}** [المائدة: 9].

تكررت (آمنوا وعملوا الصالحات) في القرآن الكريم [50] مرة ويدخل تحتها معان وأحكام.

والفعل (آمن) يتعدى إلى مفعول به فبماذا آمنوا؟ لم يذكر ولو ذكر لطال المقام والمراد آمنوا بما نزل عليهم من ربهم ويشمل أركان الإيمان وأركان الإسلام.

كذلك حذف منعوت الصالحات أي الأعمال الصالحات وما هي الصالحات؟ لم يعددها لكثرتها .. ولو ذكر بعضا منها لم تدخل بقية الأعمال الصالحة في استحقاق صاحبها المغفرة والأجر العظيم.

فقد أراد الله كل عمل نافع ديني أو دنيوي مما لايعد ولا يُحَد، فلم يقل عملوا بالشرع أو بموجبات الدين .. فهناك من المصالح المرسلة والاستحسان ما لم ينص عليها الدين لأن كل حسن هو دين؛ وما فيه خدمة للناس من شؤون الدين والدينا فهو عمل صالح حتى صناعة مسمار أو قلم وما هو دونه يدخل تحت (وعملوا الصالحات).

فانظر إلى الدقة في التعبير فبذكر لفظة أو حذفها قد يؤدي إلى تناقض في الدين وأحكامه.

= ومن ذلك سورة العصر جامعة التي تنتظم فيها أمور عناوين حياتية كبرى لا يتسع المقال لشرحها قال تعالى :

** المثال الثاني:

ومن ذلك قوله تعالى: **{قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ}** [الزمر : 9].

هنا لم يذكر المولى تعالى مفعولا به للفعل المتعدي (يعلم) يعلمون ماذا؟ لم يقل يعلمون العلم الشرعي .. ولا العلم العقيدي .. ولا العلم التعبدي .. ولا العلم الطبيعي .. بل كل علم نافع حتى العلوم الدنيوية.

فالذين لايعلمون خير من الذين لا يعلمون .. بل ولهم مكانتهم في الشرع حتى أصحاب العلوم الطبيعية وذلك لشرف العلم وقيمته في الإسلام؛ لأن العلماء أقدر من غيرهم على فهم أسرار خلق الله قال تعالى: **{وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ}** [العنكبوت: 43].

وستجد أن العالم وإن كان غير مؤمن يرفعه الناس ويحترمونه لعلمه وهو قبول وضع الله للعلماء، لذلك فصل الله تعالى في رفع شأن العلماء بين الإيمان والعلم فقال: **{يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ}** [المجادلة: 11] ولم يقل العلماء المؤمنون .. فما بالك بمن عرف بعلمه خالقه فذلك أخشى الناس لله وأتقاهم له قال تعالى: {**إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ**} [فَاطِر: 28] وهذه الآية الكريمة ذكرت في معرض الحديث عن علم الطبيعة .. ومن أبرز أسباب سجود الملائكة لآدم هو العلم كما تشير إلى ذلك الآيات.

** المثال الثالث:

ومن ذلك قوله تعالى: {فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى * وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى} [الليل: 5 – 10]

إن الفعل (أعطى) يتعدى إلى مفعولين نحو (أعطى الغني الفقير مالا) فتنصب (الفقير ومالا) مفعولين للفعل .. ولكن لم يذكر فعلا واحدا والهدف من ذلك تحقيق العموم والشمول فلو ذكر الله مفعولين لقل المعنى لذلك حذف وليقدر كل عطاء إيجابي مفعولا صالحا قل أو كثر .. فيدخل تحته الوجه الطلق تلقى به أخاك .. والكلمة الطيبة .. وإماطة الأذى عن الطريق .. وبذل المال .. وإطعام الطعام .. وهلم جرا وعليه فكل معط شيئا يشمله الله بالتيسير .. ولم يكن ذلك لولا الحذف.

وكذلك كلمة (اتقى) فعل متعدي ولكن حذف فعله ليشمل اتقى الله .. واتقى الآخرة .. واتقى سوء العذاب.

ثم قال (وصدق بالحسنى) أعطاها المفسرون عدة معان "فقالوا: الحسنى هي الجنة، و(الزيادة) النظر إلى وجهه الكريم، وهذا المعنى يشمل كل المعاني .. لأنها أحسن خلف لكل ما ينفق العبد .. وخير وأحسن مجازاة على أي عمل مهما كان .. ولا يتوصل إليها إلا بلا إله إلا الله[1] ومنها أسماء الله الحسنى وبكل ذلك جاءت الآيات قال تعالى: {وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى} [النساء: 95] وقال: {لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ} [يونس: 26] وقال: {وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى} [الكهف: 88] وقال: {وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى} [الأعراف: 180] وقال: {وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا} [البقرة: 83].

فهؤلاء سييسرهم الله لليسرى وما هي اليسرى؟ "اليسرى في العمل .. واليسرى في الزواج .. ، واليسرى في الصحة .. واليسرى مع الأولاد .. واليسرى مع الجيران .. واليسرى مع المستقبل .. فهناك أشخاص يخافون المستقبل، لا فسنيسره لليسرى[2].

---

(1) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن – المؤلف : محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الشنقيطي (المتوفى : 1393هـ) – الناشر : دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان – عام النشر : 1415 هـ - 1995 مـ (8/ 547).

(2) تفسير النابلسي – المؤلف: محمد راتب النابلسي – المصدر : الشاملة الذهبية (10/ 154).

وقوله (بخل) بكل شيء حسن والأصل البخل بالمال و(استغنى) بكل ما ظنه يغنيه يدخل فيه المال على الأصل .. والعقل .. والسلطان .. والعشيرة ..إلخ.

** المثال الرابع:

قال الله تعالى: {وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ} [الأنعام: 19].

لم يقل المولى تعالى ومن بلغ من قريش أو قومك أو العرب بل حذف مفعوله ليشمل النساء، والرجال .. والعرب والعجم .. والكفار والمسلمين .. والإنس والجن .. بل ويشمل كل الزمان وكل المكان إلى قيام الساعة.

ولو أن الآية الكريمة قد قيدت التبليغ بكلمة مما سبق لقصر التعبير عن معنى الشمول ولجر إلى تناقض فالرسالة المحمدية شاملة فالله قد قال: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ} [سبأ: 28].

** المثال الخامس:

قال الله عز وجل: {وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى} [النجم: 37].

هذه الآية الكريمة الصغيرة تختزل ابتلاءات عظيمة لنبي عظيم يتجلى ذلك في الفعل (وفَّى) إذ يتبادر الذهب بالسؤال وفَّى بماذا؟ والإجابة المختصرة هي: وفَّى بكل شيء وأكمل كل شيء أمر به الله عز وجل:

وفَّى بأداء الرسالة مع ابتلائه بخروجه من قومه إلى مهاجر إبراهيم وهي مكة ومصر والشام، وفَّى بالبراءة من أبيه على حبه إياه {فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ} [التوبة: 114] .. وفَّى بالصبر على رميه بالنار .. وفَّى على حرمانه من الذرية حتى سن اليأس حتى قال: {قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ} [الحجر: 54] .. وفَّى بأمر ربه بترك ابنه الوحيد وأمه في واد غير ذي زرع {رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ} [إبراهيم: 37] لا جليس فيه ولا أنيس .. ولاماء ولا نماء .. وفَّى بالصبر على الامتثال في ذبح ابنه الوحيد الذي بلغ معه السعي {فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ

يَابُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ} [الصافات: 102].. وعن الحسن البصري "ما أمره الله بشيء إلا وفَّى به"[1].

** المثال السادس:

إجمال متعدد المفعول:

قال الله تعالى: **{فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ}** [البقرة: 150].

تعدى الفعل (ولأتم) إلى المفعول به وهو (نعمتي) لكن لم يذكر النعمة لأن تحتها نعم فليس المراد نعمة واحدة بل كل النعم وقد حذفها لأن ذكرها سيطول فتحتها النعمة نعم كثيرة .. نعمة الإسلام .. ونعمة الأمن .. ونعمة الإخوة في الدين .. ونعمة العزة والتمكين .. نعمة الرزق قال تعالى: **{وَاذْكُرُواْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}** [الأنفال: 26] وقال: **{وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا}** [آل عمران: 103].

ومثله قول الله تعالى: **{وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ}** [النحل: 18].

لفظ النعمة واحدة .. والواحد لا يعد أصلا فكيف يعدون النعمة ثم كيف لا تحصوها؟.

الجواب هو أن كل نعمة تحتها نعم فالشمس مثلا نعمة واحدة ولكن كم تحتها من النعم إنها كما قال الله (لا تحصوها) والعين نعمة ولكن كم تحتها من النعم.

من هنا ندرك الإعجاز في أن لفظة واحدة يدخل تحتها ما لو ألف فيها لخرجت من المجلدات بما لا يحد ولا يعد .. إنه كلام الله وعظمة إعجازه.

---

[1] الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: 538 هـ) – تحقيق: عبد الرزاق المهدي – الناشر: دار إحياء التراث العربي – مكان النشر: بيروت (4/ 427).

وهذا يسمى التكثيف والذي يجمع المعاني الكثيرة في مبنى واحد وهذا ما نجده في بلاغة النبوة من ذلك دعاؤه صلى الله عليه وسلم "سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، عَدَدَ خَلْقِهِ وَرِضَا نَفْسِهِ وَزِنَةَ عَرْشِهِ وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ [صحيح مسلم].

كم عدد خلقه ورضاء نفسه" أي بمقدار يرضى به لذاته(1) وزنة عرشة وهو أعظم مخلوقات الله فإذا كانت السماوات والأرض من الكرسي كسبعة دنانير ألقيت في ترس كما قال الله: **{وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ}** [البقرة: 255] فـ"مَا السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ مَعَ الْكُرْسِيِّ إِلَّا كَحَلْقَةٍ مُلْقَاةٍ بِأَرْضٍ فَلَاةٍ[2] "(ومداد كلماته) أي بمقدار يوازي المداد الذي تكتب به كلماته، وقد بين الله سبحانه قدر كلماته بقوله: **{وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ}** [لقمان: 27][3].

**التوسع في حذف غير المفعول به:

المثال الأول: حذف المبتدأ:

قال الله عز وجل: **{لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ * مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ}** [آل عمران: 196-197].

المتاع هو ما يمتع به الإنسان قليلا كان أو كثيرا و(متاع) خبر لمبتدأ محذوف يقدر بصور كثيرة صالحة مثل أي هو متاع .. أو بقاؤهم متاع .. أو تقلبهم متاع ولنا أن نقول حضارة اليوم وناطحات السحاب والتكنلوجيا .. إلخ متاع قليل.

فصياغة الجملة فيه تزهيد وتصغير لشأن الدنيا لم يقل: لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد * ملك زائل .. أو وغنى منقطع .. مثلا بل قال (متاع) ثم وصفه بأنه (قليل) كما قال المولى تعالى: **{قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا}** [الزمر: 8]: **{كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا}** [المرسلات: 46].

---

(1) منة المنعم في شرح صحيح – المؤلف: أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري (206 – 261 هـ)
– الشارح: فضيلة الشيخ/ صفي الرحمن المباركفوري – الناشر: دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض – المملكة العربية السعودية – الطبعة: الأولى، 1420 هـ – 1999 م (4/ 254).

(2) صحيح ابن حبان صحيح ابن حبان – المسند الصحيح على التقاسيم والأنواع – المؤلف: محمد بن حبان الدارمي (المتوفى: 354 هـ) – المحقق: محمد علي سونمز، خالص آي دمير – الناشر: دار ابن حزم – الطبعة: الأولى 1433 هـ- 2013 م (2/ 77).

(3) منة المنعم في شرح صحيح مسلم (4/ 254).

ثم حذف المبتدأ ليسند الخبر إلى كل ما يمكن أن يتمتع به الناس في دنياهم .. وكل هذا إمعان في تصغير شأن الدنيا وهو أسلوب قرآني ملفت.

وهو نظير دقة التعبير في التقليل من الشيء الذي نجده في صف الله تعالى ما أعقب أهل الجنتين من تبديل فقال: **{وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ}** [سبأ: 16]. فقال (وشيء) والشيء يطلق على أصغر جزء ثم أتى ب«من» التي للتبعيض ثم أتى بالنكرة (سدر) فهو أي سدر بلا أهمية ثم وصفه بأنه (قليل) وهنا لم يعد في التقليل من شأنه زيادة لمستزيد بعد أن كانوا في جنتين.

** المثال الثاني حذف الفاعل:

قال عز وجل: **{فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ}** [فاطر: 8].

هاهنا شبهة وهي بما أن الله هو الذي يضل أو يهدي فأنا على انتظار مشيئته للهداية.

والواقع أن هذا خطأ في الفهم فالإنسان مخير لا مصير، فالله لا يكتب على الإنسان بل يكتب عنه؛ لأن علم الله سابق.

ثم إن الفعل (يشاء) يمكن تحميله فاعلين فالأول على تقدير يضل من يشاء الله إضلاله ويهدي من يشاء الله هدايته.

والثاني يضل الله من يشاء الضلال ويهدي الله من يشاء الهداية وتقدير كليهما موافق لنصوص القرآن فهناك مشيئة عامة لله تعالى فهو الذي أوجد نوازع الضلال ونوازع الهداية.

وهناك ضلال خاص وهداية خاصة وهي حق الاختيار كما قال تعالى: **{فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ}** [الكهف: 29] حيث قال: **{فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ}** [الصف: 5] وقال في الهداية: **{وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ}** [محمد: 17]: **{وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى}** [مريم: 76].

** المثال الثالث حذف المضاف:

قال تعالى: **{وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ}** [البقرة: 93]

العجل لا يشرب ولكن ثمة محذوف وهو المضاف وحذف لتعدد المعنى .. أما النحويون فيقدرون مضاف واحدا ليتم التحليل الإعرابي مثل اشربوا في قلوبهم حب العجل .. وقد سبق أن قلنا لو كان المراد معنى واحدا لذُكِر ولكن الحذف يفتح الباب لتقدير معان أخرى مثل قداسة العجل .. المهابة من العجل وكل معنى صالح.

ثم انظر إلى التعبير الإعجازي البليغ كيف اختار البيان القرآني الفعل (أشرب) كأنما تشبعت قلوبهم بحب وتقديس ومهابة هذا العجل، كما يشرب الاسفنج الماء.

** الحذف لغير التوسع.

** المثال الأول:

(إزالة الاحتمال)

قال جل ثناؤه: **{وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى}** [طه: 79].

قال و(أضل فرعون قومه وما هدى) ولم يقل وما هداهم ولو قال ذلك لاحتمل أنه ما هدى قومه لكن هدى غيرهم.

ومثله: **{أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللهِ آلِهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ}** [الأنعام: 19].

لم يقل لا أشهد شهادتكم فلو قال كذلك لصح أنه يشهد شهادة غيرهم في أن مع الله آلة أخرى .. وسيشهد شهادة من يقول إن لله ولدا .. وأن معه مشرّعون يعود إليهم الحكم والأمر إلى ما هنالك.

فانظر إلى دقة النظم .. وسلامة التعبير .. وروعة كلام الله .. واتساع الفجوة بينه وبين كلام البشر.

ومن الحذف لإزالة الاحتمال حذف جملة: **{فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ}** [البقرة: 60].

حذفت الجملة (فضرب) إذ لو قال /اضرب بعصاك الحجر فضرب فانفجرت/ لكان محتملا لدى البعض أن الانفجار كان بسبب الضرب وأن تفجير الماء من قدرة موسى أو أن تفجير من خصائص العصى.

ومنه قوله تعالى: **{فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى}** [البقرة: 73]

حذف فضربوه ببعضها فقام حيا فقد يظن أن ذلك من ضربهم أو أن من خصائص ضرب الميت باللحم إحياء الموتى.

** المثال الثاني:

(التهويل والتعظيم)

قد يفتح حذف المكون النحوي بابا واسعا للخيالات والاحتمالات فكل تقدير صالح يصح إضافته إلى تقديرات كثيرة محتملة.

ومن ذلك حذف جواب الشرط فكثيرا ما يحذف جواب الشرط في القرآن الكريم وبخاصة المتصل منها بحديث القيامة وذلك للإبهام ولاستيعاب أحداثها التي لا تحصيها الكلمات من ذلك قوله تعالى:

{إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ * وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ * وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ * وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ * وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ * يَاأَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ} [الانشقاق: 1 – 6].

أين جواب الشرط؟ ماذا سيحدث (إذا السماء انشقت) ؟

قال بعض المفسرين (إذا السماء انشقت) بعث الناس وقال آخرون (إذا السماء انشقت) لاقيت الله .. وقال غيرهم إن التقدير: {يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ}.

والصحيح أن الله عز وجل لو قصد جوابا بعينه لذكره لكن الجواب لايتوقف عند محطة من محطات يوم القيامة فمحصلة جواب الشرط كثير يبعث على التعظيم وتهويل الأمر .. إن الأمر أكبر من أن يختزل في كلمة منها والله أعلم:

إذا السماء انشقت .. فقد انفرط عقد نظام الكون .. وطويت فصول الحياة .. وجاء أمر الله .. وحل الفزع .. وذهل الناس عن كل شيء .. وتفرقت الخلائق عن بعضها .. وسقطت الملوك .. ورأوا أهوال النشر والحشر والحساب والعقاب .. الخ.

فلاينبغي أن يعقب انشقاق السماء حدث واحد .. ولو ذكر جوابا واحدا لقل المعنى وإذا عدد الجواب لطال الأمر، نعم هناك بعض المقامات السياقية يذكر فيها الجواب وذلك لأن السياق قد يتطلب تحديد معنى خاص.

ومن حذف جواب الشرط قول المولى: **{وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ}** [السجدة: 12].

أي لو رأيت ذلك لرأيت عجبا من شدة الهول .. وصعوبة الموقف .. ومبلغ الندم والحسرة .. إلخ.

** المثال الثالث:

(الحذف للعلم بالمحذوف)

قال تعالى: **{وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ}** [الأنعام: 13] لم يقل سكن في الليل وتحرك في النهار ومثله: **{وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ}** [القصص: 73].

فقد استغنى الله عن ذكره بذكره في مواضع أخرى: **{هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا}** [يونس: 67] وقال: **{وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا * وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا}** [النبأ: 10، 11].

- ثم إن له بعدا إعجازيا آخر يتعلق بكروية الأرض وهو أن من كان عنده نهار فهو عند غيره ليل فالسكن شامل لليل والنهار ومثل ذلك قول الله:

وفي سورة يونس أن الأرض إذا أخذت زخرفها وازينت أتاها أمر الله ليلا أو نهارا: **{حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ}** [يونس: 24].

فمن هو عنده ليل هو عند غيره نهار.

وبعد دلالي ثالث وهو أن الأصل السكون لا الحركة وكل متحرك يؤول إلى سكون.

** ومن ذلك أن الله عز وجل في سورة الصافات ذكر المشارق ولم يذكر المغارب: **{رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ}** [الصافات: 5].

استغناء بذكره في سورة الرحمن عن ذكره في سورة الصافات حيث قال: **{رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ}** [الرحمن: 17].

وبعد آخر يعود أيضا إلى كروية الأرض فمن هو عنده مغرب للشمس هو عند غيره مشرق فالشمس حينما تغرب إنما تشرق على آخرين .. ولا تشرق على الجميع وتغرب على الجميع لأنها كروية.

** ومنه: {فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ} [الرحمن: 13] الضمير يعود إلى الإنس والجن ولم يذكرا للعلم بهما.

ومنه: {وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ} [فاطر: 45] أي الأرض.

ومنه: {كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ} [القيامة: 26] أي الروح.

ومنه: {وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ} [النحل: 81] أي: والبرد، بالقياس والتلازم.

**المثال الرابع:

(الحذف لمراعاة المقام)

قال ربنا: {مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى} [الضحى: 3].

ذكر الضمير في (ودعك) لأن الوداع يكون من حبيب لحبيبه ولم يقل /وما قلاك/ لأن قلى فيه الترك والهجر فصيانة لمقام نبيه صلى الله عليه وسلم حذف الضمير من أن يذكر هجر الله له.

ذلك أن ذكر الضمير في معرض نفي الإساءة إلى الحبيب قد يكون إساءة فلو قلت مثلا ما أهنتك ولا ذليتك ولا شتمتك فيه مع ذكر الضمير إهانة .. والأذوقُ حذف الضمير تقول لم أهجر ولم أسيء ولم أشتم ..الخ

من هنا نجد أن الرجل الصالح (الخضر) في سورة الكهف لم يذكر في البداية الضمير في إنكاره على أسئلة موسى – عليه السلام –: {قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا} [الكهف: 72] مراعاة لمقامه ومشاعره؛ لأن السؤال فيه تقرير إنكاري.

غير أنه ذكره في المرة الثانية فقال: **{قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا}** [الكهف: 75] قال (ألم أقل لك) لماذا؟ لأن الاعتراض تكرر من موسى عليه السلام فقال له ذلك كأنه يقول "إنما أكلمك أنت لا غيرك".

ومن ذلك في حق خرق السفينة قال: **{فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا}** [الكهف: 79] نسب العيب لنفسه تأدبا أن ينسبه إلى الله في حين قال: **{فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ}** [الكهف: 82] لأن فيه رحمة.

ومثله قول الله: **{وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ}** [الشعراء: 80] نسب المرض إلى نفسه ونسب الشفاء إلى الله، وهذه التعابير الذوقية شملت الجن مع خالقها فقالت: **{وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا}** [الجن: 10] لم تنسب الشر إلى الله بل جاء الفعل بصيغة المبني لما لم يسم فاعله (أشر أريد بمن في الأرض) في حين نسبت الرشد إلى الله، مع أن كلا من الخير والشر طبع بشري مودع من الله.

** حذف أكثر من جملة:

وقال: **{يَا بَنِيَّ اذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلاَ تَيْأَسُواْ مِن رَّوْحِ اللهِ إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ* فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيْهِ قَالُواْ يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ}** [يوسف: 84-88].

فحُذف كلام كثير لا يحتاجها السياق لأن المراد العبرة من ذلك: فعادوا إلى مصر .. وطلبوا الإذن بالدخول على العزيز .. وانتظروا الإذن .. ودخلوا على يوسف .. فقدموا حاجته ..إلخ.

** ومنه الخبر عن سيدنا موسى عليه السلام قال تعالى: **{قَالُوا أَرْجِهِ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ * يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ* فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ}** [الشعراء: 36/38].

والتقدير: قالوا أرجه وأخاه وأرسل الخ، "وأرجه فعل أمر، أي: أرجه وأخره، وقد حذفت الهمزة تسهيلا، فأرسل فرعون في المدائن حاشرين فحشروا وجاء السحرة من المدائن فحضروا عند فرعون.

ولنا أنعود إلى قصة يوسف ونتتبع الكثير من حذف السياقات منها: **{وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَاْ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ}** [يوسف: 45] وجاءت الآية التي بعدها: **{يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ}** [يوسف: 46] فحذف من السياق لعدم الحاجة إليه [فأرسلوه إلى يوسف فدخل عليه السجن وسأله].

ثانيا - الذِّكْر:

الأصل في اللغة هو ذكر أركان الجمل ومكملاتها فإذا جاء الكلام جاريا على أصله فغالبا لا نكت بلاغية فيه، وإنما تكون البلاغة في العدول عن الأصل كما سبق.

غير أن المراد هنا بالذكر في القرآن الكريم هو ذكر اللفظ مع تكراره وفيه يكون الإعجاز البياني وله أغراض ومقاصد من ذلك:

** المثال الأول – التقرير:

قال الله لعيسى: **{وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي}** [المائدة: 110].

هذا خطاب الله تعالى لعيسى بن مريم يوم القيامة فيقرره أمام الأشهاد حيث تكرر الفعل (بإذني) [4] مرات.

والغرض منه تقرير عيسى عليه السلام بأن ما جرى على يده من معجزات هي من عند الله تعالى، حتى يقيم الحجة على أتباعه وهو ما كان قد أكده لهم في حياته قال: **{قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ}** [آل عمران: 49] فكرر (بإذن الله) لنفي شبهة أن هذا من عنده، لكنهم ضلوا وظنوا أن كل تلك المعجزات التي جرت على يده هي قدرات ذاتية فألهوه وعبدوه من دون الله.

** المثال الثاني – العتاب والنصح:

ومن ذلك قول الله على لسان سيدنا إبراهيم: {إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَاأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا * يَاأَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا * يَاأَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا * يَاأَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا} [مريم: 42 – 45].

كرر صيغة النداء (يا أبت) [4] مرات .. وذلك لأن النداء بـ(يا) تكون للبعيد بعدا ماديا أو معنويا، وبعد أبيه بعدا معنويا، فهو بعيد عن الحق .. حيث بعد عن الحق في عبادة الأصنام .. وبعد عن الحق في اتباع الشيطان .. وبعد عن الحق في تجاسره على الكفر بالله الذي يقود إلى النار.

والتكرار في النداء يكون في العتاب فأنت تقول لابنك العاصي وأنت توجهه يا بني اترك الشقاوة .. يا بني خف ربك .. يا بني لا تقرب من ابن فلان .. ولا يقال مثل هذا في معرض الثناء نهائيا.

** المثال الثالث- ذكر الخاص بعد العام:

ومن الذكر الإطناب من مقاصد ذكر الخاص بعد العام التنبيه على فضل الخاص والاهتمام به قال تعالى: {حَافِظُواْ عَلَى الصَّلَوَاتِ والصَّلاَةِ الْوُسْطَى وَقُومُواْ لِلّهِ قَانِتِينَ} [البقرة: 238] فالصلاة الوسطى داخلة ضمن الصلاة لكنها خصت بالذكر لأهميتها.

** ومنه قوله تعالى: {مَن كَانَ عَدُوّاً لِّلّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ} [البقرة: 98] فإنه ذكر الخاص بعد العام تشريفاً له، فكان يكفي ليصل المعنى العام أن جبريل وميكال داخلون في صنف الملائكة فخصوا بالذكر بعد العام لفضلهم على سائر الملائكة، ولأن من عادى جبريل فهو كمن عادى ميكائيل وسائر الملائكة، فقد أجمع أهل التفسير أن اليهود قالوا: جبريل عدوّنا.

** المثال الرابع ذكر العام بعد الخاص:

وقد يذكر العام بعد الخاص لإفادة العموم مع العناية بشأن الخاص، نحو: {رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِناً وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ} [نوح: 28].

دعا لنفسه ثم والديه ثم المؤمنين، وكان يكفي أن يدعو للمؤمنين وهو ووالداه من المؤمنين، لكنه أراد أن يختص نفسه بالدعاء ثم الأقربين بالمعروف(1).

** المثال الخامس إزالة اللبس.

قال تعالى: {إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ} [المنافقون: 1].

جاء قوله: (والله يعلم إنك لرسوله) جملة استئنافية لإزالة اللبس فلو قال الله " إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون" لفهم منه أن الله يشهد أنهم كاذبون في قولهم نشهد إنك لرسول الله.

= ومن ذلك قوله تعالى: {وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ} [البقرة: 23، 24].

جاءت الجملة الاعتراضية (ولن تفعلوا) زيادة في الكلام لإزالة اللبس فلو قال الله: "فإن لم تفعلوا فاتقوا النار" لربما فهم منه أن الأمر التعجيزي للوجوب "فأتوا بسورة من مثله ... فإن لم تفعلوا لأي سبب فاخشوا عذاب النار.. أي عليكم أن تفعلوا لتتجنبوا عذاب النار وهذا خلاف المعنى المراد فانظر إلى دقة التعبير وحسن التصرف في صنوف القول وإعجاز كلام الله تعالى.

---

(1) علم المعاني للمؤلف مكتبة اقرأ – عام 1917م (ص 172).

** المثال السادس التوكيد والاهتمام:

= ومن ذلك قوله تعالى: {فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ * إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ} [الواقعة: 75 – 77].

الجملة الاعتراضية الزائدة (وإنه لقسم لو تعلمون عظيم) وفيها لفتة مهمة وهو أن الله إذ يقسم بمواقع النجوم فما ذلك إلا لأن النجوم ونظامها وما وضع الله لها من مدارات لا تخرج عنها .. وأفلاك لا تغادرها .. وتوازن يأخذ بعضها بحجز بعض بحيث تحافظ على بناء الكون الضخم من أن ينفرط عقد نظامها كل ذلك يدل على الحقيقة الوجودية الأولى وهي أنها ما جاءت من غير خالق قادر وحكيم.

وإن هذا البناء الذي هو أكبر من خلق الناس قد أخذ بألباب علماء الفلك اليوم وأوقعهم موقع العجب والدهشة وإن العظمة لتأتي من نواح لاتُعدُّ ولا تُحدُّ من ذلك أن الله أقسم بـ(مواقع النجوم) ولم يقسم بالنجوم؛ لأن الدور المنظور هو للمواقع في إثبات وجود نجوم قد تكون شاخت وماتت من آلاف السنين الضوئية ولا تزال محتفظة بنورها دالة على موقعها التي كانت فيها.

** ***أمثلة أخرى:***

والتوكيد اللفظي كثير في القرآن الكريم وأغراضه عدة منها توكيد وتثبيت المعنى .. ومنها لفت الانتباه .. ومنها التهويل والتعظيم .. ومنها إزالة الشك .. ومنها إزالة الاحتمال، وغير ذلك.

وإليك طائفة من النصوص القرآنية:

{فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ} [الرحمن: 13] تكررت [31] مرة.

وفي هذا التساؤل محاسبة، وتذكير، وتقرير، وتقريع، وتربية شعورية في آنٍ واحد.

{فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ} [القمر: 16] تكررت [4] مرات.

{وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ} [القمر: 17] تكررت [4] مرات.

قال تعالى: {قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى} [الأنعام: 50].

{هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ} [المؤمنون: 36].

{أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى * ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى} [القيامة: 34– 35].

{كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا * وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا} [الفجر: 21 – 22]

{كَلَّا سَيَعْلَمُونَ * ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ} [النبأ: 4 – 5].

{كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ * ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ} [التكاثر: 3– 4].

{فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا} [الشرح: 5– 6].

وستجد تكرار في الإنشاء مثل الاستفهام التقريري كما نجد في سورة النمل من الآية 60– 63: {أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ}: {أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا}: {أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ}: {أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ}.

المحاضرة الخامسة: صور من الإعجاز في:

(التَّضْمِين)

رأينا فيما سبق كيف أن القرآن الكريم جاء بأحكم المباني لأرقى المعاني وأن الكلمة الواحدة قد تحمل منهجا عمليا متكاملا مثل التقديم والتأخير والحذف والذكر، وأن التحويل والاستبدال لم يكن إلا لغاية دلالية لا يمكن تحصيلها بغير تلك الطريقة من التقديم والتأخير.

وهذه نماذج أخرى نخصصها لموضوع التضمين في الكتاب المبين [(1)].

والتضمين لغة إضافة شيء إلى آخر. وفي القرآن الكريم أسلوب بلاغي ونحوي، وهو أن يُشرب لفظٌ (كفعل أو اسم أو حرف) معنى لفظ آخر، فيضيف إلى اللفظ المذكور حكم لفظ غير مذكور فيدمج معانيهما في مبنى واحد مع إيجاز بديع، مما يوسع المعنى ويُثريه دون زيادة في اللفظ.

وللتضمين صور عدة ومن ذلك تضمين الفعل اللازم معنى الفعل المتعدي ليُعدّى بحرف جر، أو تضمين فعل معنى فعل آخر ليناسب حرف الجر المستخدم.

ولكي نعرف التعدية فإن هناك أفعالا قاصرة (لازمة) غير متعدية إلى المفعول به بل تقتصر عل الفاعل مثل: (حضر زيد) وهناك أفعال لا يتوقف المعنى عند الفاعل بل يتعداه إلى المفعول به مثل (قطع الفلاح .. ..) لا يتم إلا بقولنا (الشجرة) مثلا.

---

(1) أفضل ما ألف في هذا المجال الدكتور/ محمد نديم فاضل في كتابه التضمين النحوي في القرآن الكريم – الناشر: دار الزمان، المدينة المنورة – المملكة العربية السعودية – الطبعة: الأولى، (1426 هـ – 2005 م).

والفعل قد يعدى بنفسه مثل (قرأ المعلم الكتاب) فالفعل قرأ تعدى إلى مفعوله (الكتاب) بنفسه، ومن الأفعال ما يعدى بطرق منها حرف الجر مثل (نظر المعلم إلى الكتاب) فلا يصح /نظر المعلم الكتاب/.

ثم إن التعدية قد تكون بحرف جر آخر غير الذي يعدى به الفعل لإشراب الفعل معنى إضافيا وهذا يسمى التضمين مثل:

نحو قول الله تعالى: {**الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ**} [المطففين: 2] الأصل أن الفعل اكتال يتعدى بحرف الجر «من» (اكتلت من فلان) وليس /على فلان/.

قوله تعالى: {**وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ**} [المطففين: 3] فعل كال وفعل وزن الأصل أن يتعدى بنفسه أو باللام وممكن الحذف يقال: كال له أو وزن له. فلماذا لم يقل كالوا لهم؟ اللام هنا تفيد الاستحقاق في أصل معناها في اللغة ثم تتشعب إلى معاني متعددة أخرى لكن هؤلاء المطففين لم يعطوا الناس حقوقهم فكيف يقول (كالوا لهم) فحذف لام الاستحقاق فقال كالوهم لأنهم ظلموا الناس ولو يعطوهم حقوقهم وعدّى الفعل اكتال بالحرف على للدلالة على الظلم والتسلط[1].

على أن موضوع التضمين يقتضي التأكيد على التالي:

– التضمين عدول عن الأصل كما سبق والتزام المألوف إنما هو أخبار مجردة عن بديع النظم.

– مع أن التضمين في القرآن الكريم عدول عن الأصل إلا أنه لايظهر الكلام معه قلقا ولا مضطربا بل تجد له وقعا في النفس .. وجمالا في العرض .. وإطرابا في السمع .. ويلتقي مع الذائقة البلاغية في حرارة من الألفة والانسجام حتى لكأن العدول هو الأصل .. وأن جريانه على الأصل هو الغريب .. فلو قال /عينا يشرب منها عباد الله/ لم يكن في جمال (يشرب بها).

(1) لمسات بيانية في نصوص من التنزيل دار عمان – الطبعة الثالثة – (ص: 572).

– درج الكثير من علماء النحو عند وجود تضمين على القول بأن حرف الجر جاء بمعنى حرف جر آخر مثل قولهم الباء في (يشرب بها) بمعنى «مِن» والصحيح أن **يقال إن الفعل أو شبهه عدي بحرف جر آخر ليأخذ معنى الفعل المعدى بالحرف البديل.**

فليس للحرف معنى في نفسه حتى يؤخذ معناه لحرف آخر بل معناه في غيره فلو قلت (كتاب) مثلا ظهر له معنى في نفسه ذهنيا أما لو قلت «إلى» أو «عن» بدون سياق لم يكن له معنى.

–من الأفعال ما لا يُعَدى إلا بحرف جر واحد، مثل الفعل (سلَّمت) من "السلام" يتعدى بحرف الجر «على» تقول: (سلمت على محمد) ولا يصح /سلَّمت بمحمد/ ولا / سلَّمت في محمد/ ولا /سلَّمت من محمد/ الخ بل سلمت على.

ومنها ما يتعدى بأكثر من حرف ليؤدي أكثر من معنى تقول:

- *سِرتُ من الطين* .. أي منه إلى مكان آخر.
- *سِرتُ إلى الطين* .. أي انتهيت إليه.
- *سِرتُ عن الطين* .. أي تجاوزته وابتعدت عنه.
- *سِرتُ على الطين* .. أي مشيت فوقه.
- *سِرتُ في الطين* .. أي بداخله.
- *سِرتُ للطين* .. أي للحصول عليه.
- *سِرتُ بالطين* .. أي ملاصقا لي.

ومنه في كتاب الله العزيز الفعل (عجل).

يعدى بـ«من»: **{مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ}** [يونس: 50] لابتداء الغاية.

و«إلى»: **{وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى}** [طه: 84] لانتهاء الغاية.

و«عن»: **{وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَامُوسَى}** [طه: 83] للتجاوز.

و«على»: **{فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ}** [مريم: 84] للاستعلاء.

و«في»: **{فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ}** [البقرة: 203] للظرفية.

و«اللام»: **{لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ}** [الكهف: 58] للاستحقاق.

و«الباء»: {وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ} [طه: 114] للإلصاق.
ويعدى بنفسه: {أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ} [الأعراف: 150].

مما سبق ندرك أن لكل حرف جر معنى أصلي:
«من» لابتداء الغاية.
«إلى» لانتهاء الغاية.
«عن» للتجاوز.
«على» للاستعلاء.
«في» للظرفية.
«اللام» الاستحقاق.
«الباء» للإلصاق.
«الكاف» للتشبيه.
هذه هي المعاني الأصلية لكل وقد يستبدل بحرف آخر للتضمين.

** **من أمثلة الإعجاز البياني في التضمين:**

أولا- تعدية الفعل بحرف جر آخر:

** المثال الأول:

قال تعالى: **{عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا}** [الإنسان: 6].

عينا يشرب بها أي الخمر: الأصل "يشرب منها" أي من العين، فعدي الفعل بالباء لنحصل على المعنى الأصلي يشرب منها ومعنى فعل إضافي يتعدى بالباء مثل عينا يتلذذ بها .. يلهو بها .. يتسلى بها .. يتنادمون بها، قال تعالى: **{يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ}** [الطور: 23] أي يتجاذبون على سبيل المداعبة والمزاح، ولكنه المزاح الذي لا استطالة فيه ولا أخطاء لفظية أو مادية، فهم لايشربون منها لكي يرتوون فقد قال الله في الجنة: {**إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى * وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى**} [طه: 118-119].

لذلك عدي شرب الذي في الدنيا بـ«من» فقال: **{فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي}** [البقرة: 249].

** المثال الثاني:

قال تعالى: **{نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا}** [الإسراء: 47].

الاستماع يكون «إلى» كما قال تعالى: **{وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ}** [يونس: 42] وليس يستمعون به لكن الاستماع إلى القرآن ضُمِّن معاني أخرى من مثل نحن أعلم بالغرض أو المكر الذي يستمعون به، ذلك أنهم قصدوا من السماع الاستهزاء بالقرآن كما قال بعض المفسرين وفي الآية التي قبلها: **{وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا}** [الإسراء: 46] ولو قال إليه لفات هذا المعنى الخاص بالسياق.

وإذا كان فيه معنى الاستحقاق عُدِّي باللام مثل (سمع الله لمن حمده) فهو لا يستمع إليهم وحسب بل ويستجيب لهم ويعظم لهم الأجر على ثنائهم عليه.

** المثال الثالث:

قال تعالى: **{وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ}** [يوسف: 100].

أنت تقول "أحسن إلي فلان" وليس /أحسن بي/ قال المولى: **{وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ}** [القصص: 77].

وقد عدل النص القرآني إلى تعدية الفعل بالباء فأتى بأعذب لفظ .. الأقدر على سحر النفس .. وإطراب السمع، إضافة إلى معنى آخر جميل وهو " تلّطف بي ورفق بي" وفيه ما فيه من التأدب مع الله من نبي الله يوسف عليه السلام فجعل خروجه من السجن رفقا إحسانا من الله إليه، ويتفق هذا المعنى مع قول الله تعالى: **{وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ}** [البقرة: 216].

فقد كان يحب حب أبيه له فقاده إلى غيابة الجب .. وكره الجب فقاده إلى قصر العزيز .. وأحب قصر العزيز فقاده إلى السجن .. وكره السجن فقاده إلى الحكم ووزارة خزائن الأرض.

فقد يكون في الخير الظاهر شر، ويكون في الشر الظاهر خير والعبرة بعواقب الأمور وخواتيمها .. فما كان والدا الغلام يدركان أن من وراء قتل الرجل الصالح ابنهما خيرا وسيموتان ولا يدركان ذلك حتى يلقيا ربهما.

**المثال الرابع:

قال جل ثناؤه: **{وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ}** [الشورى: 25].

أنت تقول (قبلت منك الالتزام) وليس /قبلت عنك/ لكن المولى تعالى أراد أنه يقبل التوبة من عباده وأسقط عنهم الذنوب، وفوق ذلك عفا عنهم أي محا آثار ذنوبهم أيضا، وما ذلك إلا لأن «عن» تفيد التجاوز والترك، وفي العفو معنى الزيادة قال تعالى: **{وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ}** [البَقَرَة: 219] أي الزائد عن الحاجة .. ففي العفو زيادة فضل عن مجرد قبول التوبة ولم يكن ذلك إلا بفضل تعدية الفعل بعن.

** المثال الخامس:

قال تعالى: **{فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}** [النور: 63].

الفعل خالف يتعدى بنفسه تقول "خالفتَ أمري" وليس /خالفتَ عن أمري/ فعدي بـ«عن» لأنها كما سبق تفيد التجاوز، فتضمن معنى (يحيدون عن أمره) وهو أقل عصيانا من "مخالفة الأمر" فالحيدان أدنى المخالفات الشرعية وفي هذا تشديد على الابتعاد عن مخالفة الأمر ولو كان مجرد حياد .. وإنما فهمنا هذا من الإعجاز البياني في التضمين وهو معزز بقوله: **{وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ}** [المائدة: 49].

** المثال السادس:

يقول ربنا: {هَاأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ} [محمد: 38].

الفعل بخل الأصل أنه يتعدى بـ«على» تقول (بخلت عليك) وليس /بخلت عنك/ وفي هذا التضمين بعد دلالي لا يأتي به الكلام الكثير ذلك أن الذي يبخل على نفسه كأنه بالحرف «عن» تجاز نفسه وابتعد عن مصلحتها لأن في الإنفاق أجرا عظيما فمن فاته فقد حرم نفسه خيري الدنيا والآخرة أما في الدنيا "فما نقص مال من صدقة" [رواه أحمد] وفي الإنفاق التكافل وإشاعة المحبة والتراحم وتأليف القلوب وادخار صنائع المعروف عند الناس.

وأما في الآخرة فإن الله يربي الصدقات ويضاعفها إلى أضعاف كثيرة.

وقد حصلنا على كل هذا من تعدية الفعل بـ«عن» ولو قال "يبخل على نفسه" لم يحسن لأنه يظن أنه يحرص ببخله على نفسه وأنه عمليا ينفق عليها ويغدق عليها، فيبرز التعارض.

** المثال السابع:

{وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ} [الكهف: 58].

قال (لعجل لهم العذاب) وأصل معنى اللام الجارة المِلْك وكان المتبادر إلى الذهن أن يقول "لعجل عليهم العذاب" كما قال تعالى والعذاب: {فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا} [الشمس: 14]: {فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ} [الأعراف: 133].: {فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا} [الأحزاب: 9] ...: {إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا} [القمر: 34]: {إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً} [القمر: 31] لأن العذاب يأتي من الأعلى كما يأتي الرحمة والمودة من أعلى

وإنما قال (لعجل لهم) لأن هذا كسبهم ومن كسب الشيء فهو أحق به فهم اختاروا مصيرهم بأنفسهم كما قال تعالى: {هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ} [يونس: 52] وقال: {هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ} [المطففين: 36].

** المثال الثامن:

قول المولى جل ثناؤه: {وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى} [طه: 71].

قال الله (وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ) ولو قال "ولأصلبنكم على جذوع النخل" لم يفهم منه شدة الربط والتوثيق الذي يفيد شدة التعذيب، فقد يكونون على جذوع النخل وحسب فمن معاني الصلب أن يُصلَّبون أحياء بلا تقطيع الأيدي والأرجل حتى يموتوا، دليله: {إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ} [المائدة: 33].

أما (في جذوع النخل) فإن «في» تفيد الظرفية أي داخل الشيء، فكأنه لشدة تثبيتهم وتعذيبه إياهم سيدخلهم في جذوع النخل.

** المثال التاسع:

قال تعالى: {فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ} [المائدة: 52].

المسارعة تكون بـ«إلى» (سارع إلى العدو) وليس /سارع في العدو/ حيث من حيث الاستعمال على الأصل لكن نوع المسارعة يخرج معناها إلى الظرفية فالإعجاز البياني في الآية يعكس درجة ولاء المنافقين للكفار كأنهم لم يعودوا يأتون إلى الأعداء ثم يعودون إلى أقطارهم بل هم فيهم بداخلهم ومعهم "فيسارعون في مودة اليهود وموالاتهم ومناصحتهم[1] و" في أعمال موالاتهم مسارعة الداخل في الشيء، الثابت عليه، الراغب فيما يزيده تمكنا وثباتا ؛ ولهذا قال: (يسارعون فيهم) ولم يقل يسارعون إليهم[2]، والواقع نفسه يتكرر اليوم مع علو اليهود المحتلين.

ومثله: {فَادْخُلِي فِي عِبَادِي} [الفجر: 29] أي في عرض عبادي على الله يوم القيامة.

---

(1) لباب التأويل في معاني التنزيل – المؤلف: علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم المعروف بالخازن (المتوفى: 741هـ) – تصحيح: محمد علي شاهين – الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة: الأولى، 1415 هـ (2/ 63).

(2) تفسير المنار (6/ 356).

** المثال العاشر:

قال عز وجل: **{الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ}** [المطففين: 2].

أنت تقول (اكتلت من فلان) وليس /على فلان/ ولكن لما كان هناك احتيال على المُكتال منه عدي اكتال بعلى فأُشْرِب معنى الكيل معنيين .. معنى اكتالوا منهم ومعنى احتالوا عليهم، قال الآلوسي رحمه الله: "وتبديل كلمة «من» بـ«على» لتضمين الاكتيال معنى الاستيلاء(1).

ثم قال **{وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ}** [المطففين: 3] لم يقل "كالو لهم" حذف اللام التي تفيد الاستحقاق لأنهم يستوفون عند الأخذ "ليس أخذ الحق وافيًا من غير نقص، بل مجرد الأخذ الوافي الوافر حسبما أرادوا بأي وجه يتيسر من وجوه الحيل، وكانوا يفعلونه بكبس الكيل، وتحريك المكيال، والاحتيال في ملئه، فيسرقون أفواه المكاييل، وألسنة الموازين(2).

** المثال الحادي عشر:

قال ربنا: **{وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا}** [الأنبياء: 77].

المتبادر إلى الذهن أن يقول "نصرناهم على القوم" ولكنه قال (من القوم) ذلك أنه قد يكون النجاة نصرا .. لذا قال المولى في هجرة النبي صلى الله عليه وسلم: **{إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ}** [التوبة: 40] فنصر النجاة غير نصر الغلبة.

** المثال الثاني عشر:

يقول الله تعالى: **{يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ}** [الصف: 8].

---

(1) روح البيان – المؤلف: إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي أبو الفداء (المتوفى: 1127هـ) – الناشر: دار الفكر – بيروت (10/ 364).

(2) تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن – المؤلف: الشيخ العلامة محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي– مراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي – الناشر: دار طوق النجاة، بيروت – لبنان – الطبعة: الأولى، 1421 هـ – 2001 م (31/ 218).

نزلت الآية في أهل الكتاب والفعل (أراد) يتعدى بنفسه والأصل يريدون إطفاء نور الله بأفواههم فأنت لا تقول أراد زيد ليضيء المصباح .. بل إضاءة المصباح .. غير أنك تحس لهذا العدول في كلام الله جلالا في البيان .. ووقارا في النفس .. وعمقا في الدلالة .. حتى قبل أن تسبر أغوارها .. وتكشف أسرارها .. إن الفعل (يريدون) لم يتوقف عند الإرادة القلبية ولو كان الأمر كذلك لم يُعَدَّ باللام، بل فيه معنى السعي لإطفاء نور الله والفعل (يسعى) يتعدى باللام وهي على الفعل لام التعليل .. إذن فهم يسعون ويجتهدون ويمكرون لإطفاء نور الله فاجتمع بذلك النية القلبية المبيتة وتصديق النية بالعمل، وإن الواقع التاريخي ليؤيد هذا المسلك المعادي من أهل الكتاب للإسلام.

ثم تتضافر عوامل جلال الإعجاز بقوله (ليطفئوا نور الله) فاستعار لكلمة (الإسلام) (النور) كأن الإسلام نور يسقط على الأشياء لنراها على حقيقتها لنرى الحق واضحا جليا كما هو في الواقع ونرى الباطل كما هو لا كما يزينه أهل الضلال ... فوق أنه ينير الطريق ويوصل إلى الغايات.

وهناك لفتة بيانية أخرى تضمنت الحقيقة والمجاز أما الحقيقة فهو السعي لإطفاء نور الله بالألسنة. عن طريق نشر الأباطيل بألسنتهم من خلال منشوراتهم .. وخطبهم وتأليفهم .. ومؤتمراتهم .. وما أكثر ما نجد ذلك اليوم وقد سجل لك المولى من بزوغ فجر الإسلام حيث قال: **{وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا}** [آل عمران: 186] وقال: **{وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ}** [البقرة: 120]

- والمجاز تصويرهم كمن يحاول إطفاء نور الله بالفم وهذا مسعى خائب فنور الله أظهر وأسمى من أن ينطفئ بنفخة فم.

ثانيا- تضمين معنى اسم بآخر.

** المثال الأول:

قال الله تعالى: **{وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا}** [الأنبياء: 32].

من حيث التبادل بين المشتقات فهو جائز ووارد في لغتنا العربية فأنت تقول (سأقطع بدل فاقد) أي "بدل مفقود"

وقال الحُطَيْئَة يهجو الزرقبان:

دَعِ المَكارِمَ لا تَرْحَلْ لبُغْيَتِها *** واقْعُدْ فإنَّك أَنتَ الطاعِمُ الكاسي (1)
وأراد المطعوم المكسو. وفيه سخرية واستهزاء.
وقال آخر:
رخِيمُ الكلامِ بَطيءُ القِيَا مِ أمْسَى فُؤَادِي به فاتِنَا (2)
أي مفتونا.

أما في كتاب الله فإن الاختيار يكون لمعنى فربما رأينا أن الأصل أن يقول "سقفا حافظا" أي يحفظ الأرض من الأجرام والنيازك وأشعة الشمس الضارة، ولأن هذا هو المعنى الأصل والمدرك بالعقل فإنه في حكم الثابت ثم عدل إلى اسم المفعول؛ لتثبيت معنى جديد .. وقال (سقفا محفوظا) فتضمن معنى المشتقين.

– فالسماء مثلما هي حافظة لنا هي محفوظة منا فكم من الغازات .. وعوادم السيارات .. وغاز الميثان إلى غير ذلك التي كان يمكن بها تدمير هذا الغلاف الحافظ لكنه محفوظ من أن يطاله فساد الإنسان إلى حد كبير.

–كذلك هي سقف محفوظ من أن يدك بالأجرام السماوية لو كان حجابا ماديا ظاهرا لتحطم .. بل هي غلاف جوي غازي، ومجال مغناطيسي لا يصطدم.

–كذلك في العدول تحاشي الوقوع في الخطأ العقدي من أن ينسب الحفظ إلى السماء فالحافظ هو الله لا السماء وهي محفوظة من الله قال تعالى: **{وَيُمۡسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ}** [الحَج: 65].

تأمل كيف أن كلمة واحدة تضمنت دروسا عدة بل قل أبحاثا عدة .. فياللغة السماء من عظمة وجلال .. ويا له من إعجاز فوق حدود الوصف.

---

(1) قول الحطيئة يهجو بها الزبرقان وهو من البسيط المخصص (413/1) لسان العرب (363/12) الإعجاز والإيجاز (146/1) خزانة الأدب (275/3).

(2) تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن (40/9) – وانظر المخصص الغريب والمعاجم ولغة الفقه – المؤلف: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (المتوفى: 458هـ) – المحقق: خليل إبراهم جفال – الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت – الطبعة: الأولى، 1417هـ 1996م (325/1) وانظر تفسير البحر المحيط – المؤلف : محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي – دار النشر : دار الكتب العلمية – لبنان/ بيروت – 1422 هـ – 2001 م – الطبعة : الأولى (101/1).

**** المثال الثاني:**

وقوله عز وجل: **{فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ * فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ}** [الحاقة: 21 – 22] العيشة لاتكون راضية وقد تضمن المشتق اسما آخر:

– راضية بمعنى عيشة مرضية عنها من المؤمن لجواز التبادل بين اسم الفاعل واسم المفعول كما سبق.

– هي عيشة راضية كأن هناك تراسلا بين المؤمن مع ما يحيط به في الجنة فكل ما حوله يشعر بالسعادة بوجوده فهي راضية عنه كما أنه راض عنها.

ومنه قوله تعالى: **{قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ}** [هُود: 43].

تضمن معنى لا عاصم ولا معصوم من الله.

ومنه قوله تعالى: **{وَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ جَعَلۡنَا بَيۡنَكَ وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ حِجَابٗا مَّسۡتُورٗا}** [الإسۡرَاء: 45].

قال ابن جرير الطبري: «(حِجابًا مَسْتُورًا) حِجابا ساترا، ولكنه أخرج وهو فاعل في لفظ المفعول، كما يقال: إنك مشئوم علينا وميمون، وإنما هو شائِم ويامِن؛ لأنه من شأمهم ويمنهم»(1) وقال بعض أهل العلم: قوله (مَّسْتُورًا)، على معناه الظاهر من كونه اسم مفعول؛ لأن ذلك الحجاب مستور عن أعين الناس فلا يرونه. أو مستور به القارىء فلا يراه غيره. واختار هذا أبو حيان في البحر. والعلم عند الله تعالى»(2).

وبما أن الحجاب يكون بالفهم العقلي ساترا فهو المعنى الثابت فهو ساتر لقلوبهم من أن يعوه ويؤمنوا به وإنه لهو الران والأكنة التي تحجب الخير عن الذين لا يؤمنون بالآخرة.

ومنه قول الله تعالى: **{إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيّاً}** [مريم: 61] وهو محتمل للمعنيين، وقوله: **{جَزَاء مَّوْفُوراً}** [الإسراء: 63]. والسياق يحتمل (وافر) و(موفور).

---

(1) تفسير الطبري (457/17).

(2) أضواء البيان (298/18).

وقال تعالى: {وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ} [النور: 34]. «قرأه نافع، وابن كثير، وأبو عروة، وشعبة بن عاصم: (مُبَيَّنَاتٍ) بفتح الياء المثناة التحتية المشددة بصيغة اسم المفعول، وقرأه ابن عامر، وحمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم: (مُبَيِّنَاتٍ) بكسر الياء المشددة بصيغة اسم الفاعل: فعلى قراءة من قرأ بفتح الياء فلا إشكال في الآية؛ لأن الله بينها، وأوضحها، وعلى قراءة من قرأ (مُبَيِّنَاتٍ) بكسر الياء بصيغة اسم الفاعل، ففي معنى الآية وجهان معروفا.

أحدهما: أن قوله: (مُبَيِّنَاتٍ) اسم فاعل بين المتعدية وعليه فالمفعول محذوف أي مبينات الأحكام والحدود.

والثاني: أن قوله: (مُبَيِّنَاتٍ) وصف من بين اللازمة، وهو صفة مشبهة، وعليه فالمعنى (آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ) أي بينات واضحات، ويدل لهذا الوجه الأخير قوله تعالى: {وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ} [النور: 1] وذكر الوجهين المذكورين الزمخشري، وأبو حيان وغيرهما»[1].

** ثالثا- تضمين الصوت معنى المبنى:

"من خواص اللغة الفطرية (الجرس الصوتي)، ويقصد به نوع من الموسيقى يوحي إلى الأذهان بمعنى فوق المعنى الذي تدل عليه الألفاظ" [2]، أو هو أن يأتي مسموع الأصوات على حذو محسوس الأحداث" [3].

واللغة العربية من اللغات التي تمتاز بهذه الخاصية، ومن أوائل الذين تنبهوا اليها من القدماء ابن جني (393هـ)، في قوله: كثيرا ما يجعلون أصوات الحروف على سمت الأحداث المعبر بها عنها فيعدلونها بها ويحتذونها عليها"، وقال في موضع آخر: فإن كثيراً من هذه اللغة وجدته مضاهيا بأجراس حروفه أصوات الأفعال التي عبر بها عنها ألا تراهم

---

(1) أضواء البيان (328،327/27).

(2) التوجيه الأدبي د. طه حسين وآخرون ينظر مجلة كلية التربية الأساسية – جامعة بابل كانون أول 2014م العدد (18).

(3) البلاغة الصوتية في القرآن الكريم د. محمد زكي شادي (ص28).

قالوا (قضم) في اليابس و(خضم) في الرطب وذلك لقوة القاف وضعف الخاء فجعلوا الصوت الأقوى للفعل الأقوى والصوت الأضعف للفعل الأضعف"[1].

وعندنا في اليمن في القرية يقولون:

قطع: للشجرة .. وقطف: للغصن .. وقطل: للورق .. وقطم: للعود اليابس .. وهذا يفرق بين نوع القطع وصوته وبين الكلمة وما اشتملت عليها من حروف شدة ورخاوة.

وإليك أخي الدارس بعض الأمثلة على الإعجاز البياني في تضمين الأصوات دلالات المباني.

ويشمل الجرس الصوتي أيقاع كلي للسور والآيات وإيقاع جزئي يتصل ببنية الكلمة.

أما الإيقاع الكلي فإننا لنلحظ بوضوح تعانق الأحداث مع الآيات وفواصلها في تصوير المشاهد، فنجد الآيات التي تتحدث عن أحداث القيامة سريعة متتابعة متصلة الإيقاع مع ازدحام الأحداث وستجد أن خصائص الإيقاع السريع قد اتسمت بها سور مثل سورة الطور قال تعالى: **{وَالطُّورِ * وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ * فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ * وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ * وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ * وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ * إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ * مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ * يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا * وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا * فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ}** [الطور: 1 – 11].

{إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ * وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ * وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ * وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ * عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ} [الانفطار: 1 – 5].

وعلى نحوها السور التي تلمس فيها التقريع، والتوبيخ، والتربية الشعورية، ولفت الأنظار مثل سورة الرحمن التي تستعرض آلاء الله ونعمه وتتساءل عقب كل نعمة وفضل: **{فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ}**.

أما الآيات ذات النفس الطويل .. والإيقاع البطيء فتجدها غالبا في تلك التي تتضمن العلاقات الاجتماعية .. والأحكام التشريعية .. والآيات التأملية .. إنها تتابع بانسياب هادئ؛ لأنها تخاطب العقل أكثر من العواطف وسياق الحال يقتضي مساحة من الزمن البطيء

---

(1)الخصائص – المؤلف: أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (المتوفى: 392هـ) – الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب – الطبعة: الرابعة (66/1).

الذي من شأنه أن يمنح العقل فرصة للتأمل كما قال تعالى: **{إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ * رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ}** [آل عمران: 190 - 192].

أما الضرب الثاني من الإعجاز البياني في الجرس الصوتي فنجده في الإيقاع الداخلي لبنية الكلمات، حيث نجد التكامل الإعجازي بين المعنى والمبنى فليس المبنى مجرد وعاء حافظ للدلالة، بقدر ما هو لوحة تصويرية تسهم في نقل المعنى المتضمن بكلياته وجزئياته وعلى نحو ما نجد في الأمثلة التالية:

أولا: الجرس الصوتي الثقيل.

** المثال الأول:

(لَيُبَطِّئَنَّ):

قال الله تعالى: **{وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ}** [النساء: 72].

إن الآية الكريمة لمكتنزة بالإيحاءات الدلة على البطء الشديد فـ"كل حرف في هذه الكلمة يبدو وكأنه يعيق جري اللسان، ومجرى الهواء في الحلق، ويبطئ حركته، فيحاكي بذلك التباطؤ الذي تحمله الكلمة في معناها. وكأن القارئ حين ينطقها يجبر على الوقوف، أو التردُّد، أو الإبطاء، فيعيش لحظة التخاذل نفسها التي يصفها القرآن(1).

ثم قبل كلمة (ليبطئن) نجد أن النطق بـ«إنَّ» التوكيدية وشبه الجملة المتعلقة، ولام المزحلقة قد أخذت مسافة بطَّأت بحد ذاتها من الوصول إلى الحدث، حتى إذا وصلنا إلى الفعل (ليبطئن) كان له خصائص تزيد من الإسهام في نقل المعنى فالكلمة:

- تبدأ بـ لام التوكيد الثقيلة، التي تفسح المجال لتقدير قسم محذوف تعطي انطباعًا بالقطع والجزم.

---

(1) https://www.alukah.net

• تليها ياء المضارعة التي تدل على الاستمرارية أو المستقبل.

• ثم الباء، يليها الطاء المشددة، وهو من أقوى الحروف؛ لاشتماله على صفات الاستعلاء والإطباق والجهر، ما يجعله انفجاريًّا.

• وتليها الهمزة المفتوحة، وهي من الحروف الحلقية الصعبة.

• ثم تأتي نون التوكيد الثقيلة في الختام، لتغلق الكلمة بإيقاع مثقل ومغلق.

وكم سيكون الفرق شاسعا لو جاء التعبير هكذا (ومنكم البطيء).

** المثال الثاني:

(اثَّاقَلْتُمْ):

قال تعالى: **{مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ}** **[التوبة: 38].**

جاءت هذه الآية في خطاب للمؤمنين والمنافقين الذين تخلفوا عن غزوة تبوك على وجه العتاب لتباطئهم في إجابة الدعوة إلى الجهاد.

و(اثاقلتم) في الأصل (تثاقلتم) ادغمت التاء في الثاء وفي هذا الإدغام إيحاء بالإخلاد إلى الأرض وعدم الرغبة في الخروج إلى للجهاد، مما يدل على أن الصوت يحكي الفعل أو على الأصح عدم الفعل" [(1)] وكذلك فإن النطق بالثاء يلتصق طرف اللسان بالثنايا العليا، ولما تكرر الصوت نفسه على التوالي صار الالتصاق أشد مما لو كان غير مكرر، وهذا بدوره يوحي بشدة تقاعسهم وخلدهم إلى الأرض كما أن المقطع الصوتي الأخير من اللفظة نفسها (تم) قد أسهم هو الآخر في تخيل الصورة فأنت حين تسمع هذا المقطع يتبادر إلى ذهنك وكأن شيئا ثقيلا قد وقع على الأرض فأحدث هذا الصوت، كما ان صوت المد الذي جاء في وسطها جاء ليصور أن هذا التثاقل لا يتحرك ولا يمتد إلا في مكانه[(2)]، إذ إن البنية المقطعية لها هي إن (اثا قل ثم) جاءت لتشعر بالثقل في أولها ثم جاء صوت المد ليعطيها

---

(1) البيان في روائع القرآن – دراسة لغوية اسلوبية في للنص القراني – د. تمام حسان (ص 287).

(2) دلالات الظاهرة الصوتية في القرآن الكريم للدكتور خالد قاسم بني دومي – دار النشر عالم الكتاب الحديث– عمان جامعة اليرموك (ص239).

شيئا من الحركة والخفة وكأنما هو دعوة للنهوض، إلا إن هذا لم يدم طويلا فسرعان ما تعود إلى الثقل نفسه في المقطعين الأخيرين(1).

ولا يجب أن تمر مناسبة ذكر الأرض مع التثاقل مرور الكرام، فكأن لها جاذبية شديدة تشده للبقاء إنه حب الالتصاق بها والخلود فيها كما قال تعالى: **{لَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ}** [الأعراف: 176].

- يُدَعُّون:

قال تعالى: **{يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا}** [الطور: 13].

الدع هو الدفع بالظهر بعنف ويدعون، أي: يُدفعون دفعاً عنيفاً بجفوة وغلظة من كل من يقيمه الله لذلك، ذاهبين ومنتهين إلى نار جهنم، وهي الصبغة التي تلقاهم العبوسة والكراهة والتغيظ والزفير " (2)

وقد جاء لفظ الدع بجرسه الشديد ليصور الدفع في الظهور في ذلك الموقف الرهيب الذي يقف فيه الكفار أمام هول النار، وطغيانها، فلا تساعدهم أرجلهم على السير رهبة وفزعاً "فتدفعهم الزبانية في أعلى ظهورهم مما يوازي صدورهم ومن شأنه ذلك يُسمع لصدره صوت غير إرادي يتكون من هذا المقطع (إع)، ولهذا كانت هذه الكلمة مصورة للمعنى بجرسها ورنينها"(3).

كما إن مجيء الفعل مبنيا للمجهول أعطاه شدة وقوة من مجيئه مبنيا للمعلوم، فمتى ما كان الفاعل مجهولاً كان الأمر أشد وطأة على الذي يقع عليه الفعل، لأن في ذلك إشارة إلى قوة خفية أحدثت الفعل.

---

(1) مجلة كلية التربية الأساسية – جامعة بابل كانون أول 2014م العدد (18).

(2) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور – المؤلف: أبو الحسن، برهان الدين إبراهيم البقاعي (المتوفى: 885 هـ) – دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت – 1415هـ – 1995 م (19/10).

(3)خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية المؤلف: عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني – الناشر: مكتبة وهبة– الطبعة: الأولى، 1413 هـ – 1992 م (ص266).

ثانيا- الجرس الصوتي المتكرر.

ويكون التكرار في تضعيف حروف الكلمة وتكرارها حيث توحي بتكرار الحركة وبناء على نوع الحروف فنحو: (صرصر) و(زلزل) و(زحزح) و(حصحص) و(دمدم) و(عسعس) و(رفرف) تشترك في التكرار ولكنها تختلف في الصوت الناتج عن وقع الحركة وتتباعها في اللسان والمتجانسة مع طبيعة الفعل وصوته على الواقع .. ونكفي من ذلك ببعض الأمثلة:

**المثال الأول:

(صَرْصَر):

قال عز وجل: **{وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ}** [الحاقة: 6] وعنهم في سورة القمر: **{إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ}** [القمر: 19]

جاء في تفسير الصرصر: إنها ريح شديد السموم، والصَّر بفتح الصاد بمعنى الحر. وقيل أيضا إن معناها ريح باردة شديدة، والصِّر بكسر الصاد البرد (1).

جاءت الكلمة مكررة لتسهم في إبراز الصورة وإن لها لوقع بحيث لو نطقتها لم تخرج عن صوت الريح ذات الصرير والصفير المكرر والمخيف، والصاد أقوى حروف الصفير الثلاثة (الصاد – الزاي – السين).

فبنية الكلمة ذات أصوات مكتنزة بدلالات موحية ومتوافقة مع سمت الأحداث التي عبرت عنها مثل صررر صرصر.

قال ابن جني: فلما كانت الأفعال دليلة المعاني كرروا أقواها وجعلوه دليلا على قوة المعنى المحدث به وهو تكرير الفعل كما جعلوا تقطيعه في نحو صرصر وحقحق دليلا على تقطيعه"[2] وقال الطوسي: أرسل عليهم ريحا صرصرا أي شديدا صوته واشتقاقه من الصرير ولذلك ضوعف اللفظ إشعارا بمضاعفة المعنى"[3].

---

(1) ينظر روح المعاني (498/24) وقيل السموم لأنها تدخل في مسام الجسم.

(2) الخصائص (2/ 157).

(3) عن مجلة كلية التربية الأساسية – جامعة بابل كانون أول 2014م العدد (18).

** المثال الثالث:

(كُبْكِبُوا):

قال الله تعالى: **{فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ}** [الشعراء: 94].

ورود الفعل المضعف كبكبوا في معرض الحديث عن الزج بالكفار والعصاة في نار جهنم، مع ما في الكاف والباء من صوت انفجاري شديد، فضلا على أنهما تكررا مرتين في اللفظ لايكفي أن يفسر بمعنى ألقي بهم ولو كان مجرد الإلقاء مقصودا لم يرد مرادفه مكرر.

إن المقطع (كب – كب) يسهم في تصوير الحدث بأكثر من الإلقاء فأهل النار لا يسيرون إلى جهنم بطواعية كما سبق في قوله (يوم يدعون) ولا يتصور أن يكون دخولهم بمجرد صدور الحكم عليهم بالعذاب؛ لأن جهنم الآخرة لا كسجن الدنيا، فهاهنا لا يدخلونها إلا بالدفع الشديد ويكون الكب فيها على وجوههم قال صلى الله عليه وسلم: "وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ، أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ، إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ" [رواه الترمذي وغيره].

ومجيء الفعل مبنيا لما لم يسم فاعله يشير إلى الدفع القهري فالملائكة تتولى أمرهم في ألقائهم بهذه الصفة وتكرار اللفظ دليل على التكرير في المعنى واللفظ يفتح باب التصور ويسوق الخيال إلى أنهم يكبون مرة بعد مرة ويقلبون حتى يستقرون في قعرها.

إن هذا التصوير البياني العجيب لهؤلاء المشركين وهم في تدهور دائم بين القيام والسقوط على وجوههم أو مناخرهم مرة بعد أخرى لا يمكن ان يستشعر عند المتلقي أو يُصور في ذهنه بهذا التمكن بغير هذا اللفظ.

** المثال الرابع:

(زُحْزِحَ):

قال ربنا: **{فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ}** [آل عمران: 185].

تضعيف الفعل (زحزح) بما فيه من جرس صوتي يوحي بحركة احتكاكية على الأرض، يفهم من صوت الزاي الصفيري النتاج عن احتكاك الزحزحة وكذا حرف الحاء

المهموس .. كأنما ثمة مغالبة تبذل لتحريك العبد وإبعاده من النار التي ما من إنسان إلا وسيردها قال تعالى: **{وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا}** [مريم: 71].

فما أكثر من يدخلها ولا يخرج منها فالفوز العظيم من يتمكن من الإفلات منها، كأنما جموح جهنم واشتهاء للمزيد من وقود الناس يجعل الإفلات منها بصعوبة، فمن زحزح عنها وأبعد فقد فاز.

ومجيء الفعل مبنيا لما يسم فاعله يوحي بتدخل العناية الإلهية وبما لدى الإنسان من العمل الصالح وأن قدرات البشر في التخلص من النار صفرية تماما.

المحاضرة السادسة: صور من الإعجاز في:

(اختلاف القراءات)

إننا بصدد تناول وجه جديد من أوجه الإعجاز البياني في القرآن الكريم ألا وهو (اختلاف القراءات المتواترة ودلالاتها) [(1)].

وقبل البدء بسرد الأمثلة والشرح حري بنا أن نعرف سبب وجود اختلاف في القراءات وعلاقتها بالإعجاز وخاصة (المتواترة منها) وما يجب أن نعرفه عنها هو:

1- أنها موقوفة عن النبي صلى الله عليه وسلم.

2- أن الصلاة بها والتعبد إلى الله بها لا فرق بين قراءة وأخرى.

3-أنه اختلاف ترادف وتوسع في المعنى وتعدد في الدلالات وليس تناقضا وتخالفا.

4- أن تعدد المعاني قد تكون كلها مرادة في الكلمة الواحدة.

5- أنها جاءت من جهة تيسيرا وتسهيلا على لغات العرب الذي نزل بلسانهم.

6- أن اختلاف القراءات تشمل الصوت .. وبنية الكلمة .. وحركة الكلمة الإعرابية .. والزيادة والحذف.

7- أنها صورة من صورة الإعجاز البياني حيث نجد الكلمة الواحدة حمالة لعدة دلالات وهي ميزة تتميز بها اللغة العربية أكثر من غيرها من ذلك مثلا قوله تعالى:

- **{وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ}** [البقرة: 10] بتخفيف الذال وتشديده.
- **{إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ}** [يوسف: 24] .. باسم المفعول واسم الفاعل.
- {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ} [الروم: 22] .. بكسر الميم وفتحها.
- {فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا} [طه: 112] .. وقراءة فلا يخف.

---

(1) وأبرز مؤلف في هذا الجانب هو كتاب (الإعجاز البياني في ضوء القراءات القرآنية المتواترة) للأستاذ الدكتور أحمد بن محمد الخراط – الناشر مركز الدراسات القرآنية بمجمع الملك فهد لطباعة القرآن الكريم 1426هـ.

والآن لنتناول بعض الأمثلة على ذلك وشرحها:

**اختلاف القراءة في الأفعال:

** المثال الأول:

إحلال حرف مكان حرف.

تساءل رجل من بني إسرائيل: **{أَوۡ كَٱلَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرۡيَةٖ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحۡيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٖ ثُمَّ بَعَثَهُۥۖقَالَ كَمۡ لَبِثۡتَۖ قَالَ لَبِثۡتُ يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖۖ قَالَ بَل لَّبِثۡتَ مِاْئَةَ عَامٖ فَٱنظُرۡ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمۡ يَتَسَنَّهۡۖ وَٱنظُرۡ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجۡعَلَكَ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِۖ وَٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡعِظَامِ كَيۡفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكۡسُوهَا لَحۡمٗاۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعۡلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ}** [البقرة: 256].

قرأ ابن كثير وأبو عمر ونافع (ننشرها) والباقون بالزاي قال الزجاج: النشر البعث"[1]

وأشار الفراء إلى هذه القراءة بقوله: (ذهب إلى النشر بعد الطي).[2]

وقد شرح الرازي قول الفراء، فقال: (وذلك أنه بالحياة يكون الانبساط في التصرف، فهو كانه مطوِيٌّ ما دام ميتاً، فإذا عاد صار كانه نشر بعد الطي"[3].

وإجمالي دلالة القراءتين:

= **(ننشرها):** ينشر الأعضاء بعد طيها ويحييها بعد موتها قال تعالى: **{وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ}** [فاطر: 9].

---

(1) معاني القرآن ينظر الإعجاز البياني في ضوء القراءات القرآنية (١/٣٤٤).

(2) المصدر السابق (١/١٧٣).

(3) مفاتيح الغيب – المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: 606هـ) – الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت – الطبعة: الثالثة – 1420 هـ (٤/٣٦).

= **(نُنشِزُهَا):** يحرك العظام والأعضاء لاجتماعها إلى بعضها .. يرفعها قليلا قليلا حتى يستوي واقفا، ومنه قول الله تعالى: **{وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا}** [النساء: 128] أي ترفعا عنها ومنه المرأة الناشزة أي المترفعة أو المتأبية على زوجها.

فانظر كم حملت الكلمة الواحدة من المعاني وكلها صحيحة وتخدم بعضها بعضا.

** المثال الثاني:

قال تعالى: {**هُنَالِكَ تَبْلُواْ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْۚ وَرُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُون**} [يونس: 30].

تتحدث الآية الكريمة في سورة يونس عن يوم الحساب وأحد مشاهد العرض على الله.

واختلف القراء في لفظة **(تَبْلُواْ)**، فقرأ حمزة والكسائي **(تتلو)**، وقرأ الباقون تبلوا.

أما قراءة **(تتلو)** فتحمل رصيداً متعدداً من الدلالات والمعاني:

= أول هذه الدلالات: بمعنى تتبع من تلا الشيء يتلوه أي يتبع ويتطلبه، وفيه مشهد تصويري فريد لأهل المحشر كل إنسان يسير وراء أعماله فتقوده إما إلى الجنة وإما إلى النار قال الله: **{كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ}** [المدثر: 38].وكان الأمر في الحياة الدنيا على خلاف ذلك؛ إذ إن النفس البشرية فيها هي التي تقود مسيرة الإنسان وتوجهها، وهي التي تُصدر الأوامر إلى التقوى، أو الفجور.

= والمعنى الثاني: **(تتلو)** في هذه القراءة من التلاوة المعروفة، والمعنى: تقرأ كل نفس ما عملته من صالح الأعمال وسيئها، مُسطرَاً في صحف الحفظة قال تعالى: **{ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا}** [الإسراء: 14] وقال تعالى: **{فَمَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِ فَأُولَٰئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ}** [الإسراء:71].

= وأما قراءة: **(تبلو)** فمعناها من الاختبار، أي: تختبر كل نفس ثواب ما قَدَّمَتْ، فيُعرف عَمَلُها: أخير هو أم شر؟ فَتَلَقَّى جزاءه، وتختبر، كناية عن التحقق وتنتقل من علم اليقين إلى

عين اليقين، "كما يختبر الرجل الشيء ويتعرفه؛ ليكتنه حالته"[1] فيجدوا أعمالهم مجسدة بالصوت والصورة قال تعالى: {هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ} [الجاثية: 29] وقال: {وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا} [الكهف: 49].

** المثال الثالث:

قال تعالى: {يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَا فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ} [الحجرات: 6].

لما كان نقل الأخبار من الأمور التي قد يترتب عليها نتائج وخيمة فقد وردت <u>قراءتان</u> في قوله (فتبينوا):

فقرأ حمزة والكسائي: (فتثبتوا).

وقرأ الجهور: (فَتَبَيَّنُوا).

=أما قراءة حمزة: (فتثبتوا) فهي من التثبت، جاء في اللسان: تثبت في الأمر والرأي تأنى فيه، ولم يَعْجَل، واسْتَثْبَتَ فِي أَمره إذا شاور وفحص عنه اللسان"[2]

=أما قراءة الجمهور: (فتبينوا) فقد جاء في اللسان: (التبين: الإيضاح. وتبين الشيء: ظهر، واستبنتُ الشيء: إذا تأملته حتى يتبين"[3] أي التبين بالطرق المختلفة.

فهذه القراءة تفيد ضرورة الإيضاح والبيان.

وحمل أبو شامة القراءتين على ترتب الأفعال في الوجود، فيكون التثبت أولاً، ثم يأتي التبين ليكون ثمرته ونتيجته[4].

وهذا يذكرنا بالقراءة في قوله تعالى: {يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأۡتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا} [الأحزاب: 30].

قرأ ابن كثير وأبو بكر عن عاصم (مُبَيَّنَةٍ) بفتح الياء. وقرأ الباقون (مُبَيِّنَةٍ) بكسر الياء.

---

(1) الكشاف (344/2).

(2) اللسان باب ثبت (٢/١٩)

(3) اللسان: (بين ١٣/٦٧).

(4) إبراز المعاني ينظر الإعجاز البياني في ضوء القراءات القرآنية (ص: ٤٢٠).

من قرأ (مُبَيِّنَةٍ) فهي على صيغة اسم الفاعل من غير الثلاثي؛ والفاحشة هي فاعلةُ التبيين؛ أي: أنها مُبيّنة عن نفسها أنها فاحشةٌ واضحةٌ ظاهرةٌ.

ومن قرأ (مُبَيَّنَةٍ) فهي على صيغة اسم المفعول، والتبيين واقع على الفاحشة من غيرها، أي: بيَّنها غيرُها.

** المثال الرابع:

\قال تعالى: {وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ فَدَمَّرۡنَٰهَا تَدۡمِيرٗا} [الإسراء: 16].

وقد اختلف القراء في لفظة أمرنا، فقرأ الجمهور بالقصر والتخفيف، أي: أمرناهم بالطاعة، ففسقوا.

وقرأ يعقوب بالمد (آمرنا) أي كثرنا مترفيها وقراءة ثالثة بتشديد الميم (أمّرنا) أي جعلناهم أمراء.

وهي مصداق قوله تعالى: {وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا فِي كُلِّ قَرۡيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجۡرِمِيهَا لِيَمۡكُرُواْ فِيهَاۖ وَمَا يَمۡكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ} [الانعام: 123].

على أن الله تعالى: لايريد هلاك قرية إلا أن يرى منهم الزيغ والسعي للفساد فيمد لهم بأن يأمر مترفيها ليستوفوا هم استحقاق العقوبة وإلا فالله

قال: {وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ} [هود: 117] وقال: {وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ} [آل عمران: 108]: {وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ} [البقرة: 57].

وهناك من يشتبه عليه فيقول كيف يأمر الله مترفيها بالفسق؟ والجواب ما أشرنا إليه وهو أن هناك حذفا وقد سبق في موضوع الحذف أن الكلام إذا كان هناك ما يغني عن ذكره يتم حذفه، ولدينا أدلة شرعية على وجود حذف منها قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ} [الأعراف: 28].

**** المثال الخامس:**

قال الله عز وجل: {**فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضٗاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ**} [البقرة: 10].

وقد اختلف القراء في لفظة (يكذبون):

فقرأ عاصم وحمزة والكسائي: (**يَكْذِبُون**) بفتح أوله، وتخفيف الذال.

وقرأ الباقون: (**يُكَذِّبُونَ**) بضم الياء وتشديد الذال.

أما قراءة التخفيف فتثبت لهم الكذب؛ وهل النفاق إلا الكذب فالمنافق يظهر خلاف ما يبطن ومنه علامة المنافق ثلاث منها "إذا حدث كذب" وقد ذكر الله تعالى هذه الصفة فقال: {**وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا**} [البقرة: 8-9].

وقال: {**وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ**} [البقرة: 14] ووصفهم بالكذب فقال: {**وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَذِبُونَ**} [المنافقون: 1].

أما قراءة التشديد: (يُكَذِّبون) فالمراد تكذيب النبي صلى الله عليه وسلم وما جاء به هي من التكذيب، ومعناه نسبة الآخر إلى الكذب ؛ لأن أولئك كانوا يُكَذِّبون النبي ﷺ ؛ إذ تركوا الإيمان به، كما قال تعالى: {**وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بآياتنا**} [البقرة: 39].

**** المثال السادس:**

قال تعالى: {**فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ كَذَٰلِكَ يَجۡعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ**} [الأنعام: 126].

اختلف القراء في لفظة (يَصَّعد):

فقرأ ابن كثير: (**يَصْعَد**) خفيفة، ساكنة الصاد.

وقرأ عاصم في رواية أبي بكر: (**يصّاعد**) بألف وتشديد الصاد.
وقرأ الباقون (**يصَعَّد**) مشددة العين بغير ألف.

وهذه الإشارات الإعجازية في هذه القراءات:

= ففي قراءة ابن كثير: (**يَصْعَد**) والمعنى: أنَّ الكافر في ثقل الإسلام عليه وتجافيه عنه، كأنه يَصْعَدُ في السماء، وصعود السماء غير مستطاع، فهو بمنزلة من طلب أمراً لا يستطيعه. وكأن هذه القراءة بمنزلة المرحلة الأولى من حالات الصعود في السماء، وبيان أن هذا ثقيل عليه لا يطيقه. قال ابن عطية: (أي: كان هذا الضيق الصدر يحاول الصعود في السماء، متى حاول الإيمان، أو فكر فيه، ويجد صعوبته عليه كصعوبة الصعود في السماء.

= أما قراءة أبي بكر: (**يصَّاعد**) أصلها الصرفي يتصاعد وقد أضيف إليها حرفان هما التاء والألف، فأبدلت التاء صاداً، ثم حصل الإدغام. وزيادة المبنى تدل على زيادة المعنى، فقد لحق من يصعد في هذه القراءة – مشقة وصعوبة ومن ذلك قوله تعالى: **{سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا}** [المدثر: 17].

وألف المطاولة تشي بمحاولة تطويع السماء للصعود عليها وتشترك مع تشديد الصاد في تأدية المعنى المنشود، وهو ما عبر عنه القرطبي بقوله: "إلا أن فيه معنى فعل شيء بعد شيء، وذلك أثقل على فاعله"[(1)] وهذا هو معنى متابعة الصعود والعلو والارتفاع. وبذلك تكون قراءة أبي بكر قد رصدت المشقة، ومعالجة الصعوبة، ومتابعة الصعود في أجواء السماء، وتعاطيه.

= أما قراءة (**يصَّعَّد**) بتشديد الصاد والعين، فعبرت عن تكلف الصعود شيئاً بعد شيء، وهذه القراءة بجرسها، الذي جمع بين الشدة وما بينه المفسر بقولهم: (شيئاً بعد شيء، أظهرت ما يعانيه الصاعد من مشقة تزداد شيئاً بعد شيء، كلما أوغل في الصعود؛ لأن درجة اضطراب الجسم سوف تزداد، و(تكيفه) مع ما يحيط به سوف يختل أكثر.

والدلائل العلمية تشير إلى وجود تأثير الضغط الجوي في أجهزة الإنسان الداخلية، ذلك أن للجو ضغطا على الإنسان يقابله ضغط داخلي مساو له في القوة ومعاكس له في الاتجاه، فإذا ارتفع الإنسان في السماء كثيرا اختل هذا التوازن فيخف الضغط الجوي على الإنسان وقد كشف

(1) الجامع لأحكام القرآن= تفسير القرطبي (7/ 82).

علماء الفضاء أن هذا يسبب ضيقا شديدا في الصدر، وآلاما في الجهاز العصبي، وتستحيل الحياة، وفقد غاز الأوكسجين، واضطراب الوزن، ونظام الدورة الدموية. هذه هي الحالة التي يُشبه بها القرآن الكريم حالة من يضيق صدره بالهداية، فهي تشبه حالة من يصعد في السماء، فينتابه الإحساس بالضيق، والاختناق، والاضطراب.

** المثال السابع:

قال عز وجل: **{وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ}** [الزخرف:57].

ذكر القرطبي في الجامع لأحكام القرآن: قال :" أن النبي ﷺ قال لقريش: يا معشر قريش، لا خَيْرَ في أحد يُعْبَدُ من دون الله. قالوا: أليس تزعم أن عيسى كان عبداً نبياً، وعبداً صالحاً ؟ فإن كان كما تزعم فهو كآلهتهم ففرح بكلامه من حضر من المشركين، وضحك أهل مكة من ذلك، ونزلت هذه الآية تشير إلى لجاجهم[1].

وقد اختلف القراء: فقرأ ابن عامر ونافع والكسائي بضم الصاد يصدون)، وقرأ الباقون بكسرها. فما الدلالة التي نستوحيها من كل قراءة ؟

= أما قراءة الضم **(يَصُدُّون)** فقد ذهب كثير من أهل اللغة والتفسير إلى أنها تفيد الصد عن الشيء، والإعراض عنه، أما ابن منظور فقد فسر الصد بالهجران، يُعرضون عن القرآن؛ لأنهم أوهموا بجدلهم أن في القرآن تناقضاً.

= أما قراءة كسر الصاد **(يَصِدُّونَ)** فقد ذكر الزمخشري: "ترتفع لهم جَلَبَةٌ وضجيج فَرَحاً وجدلاً وضحكاً بما سمعوا منه، من إسكات رسول الله بجدله، كما يرتفع لغط القوم ولَجَبُهم إذا تعيوا بحجة، ثم فتحت عليهم "[2].

ومن خلال هذه القراءة يسجل القرآن الكريم على قريش صياحهم، أمام الرسول ﷺ، وضحكهم، وجلبتهم العالية.

---

(1) الجامع لأحكام القرآن=تفسير القرطبي (16/ 103).

(2) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (4/ 260).

وذكر (قومك) أي مع أنهم قومك، وليسوا قوم عيسى، ولا أتباع دينه، فكان فرحهم ظلماً من ذوي القربى.

ومثله قوله تعالى: {**قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ تَنْكِصُونَ * مُسۡتَكۡبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرٗا تَهۡجُرُونَ**} [المؤمنون: 67].

تعرض الآيات الكريمة في سورة المؤمنين مشاهد واقعية تصف حالة مشركي مكة في أثناء فترة الدعوة المكية، وما كان يأتيه المشركون من تصرفات طائشة، عندما يتلو عليهم رسول الله الله القرآن الكريم.

أي يتكلمون بالفاسد من القول، ويُفْحشون في المنطق ويسبون نبي الله وأصحابه، ويستكبرون ويصل عنادهم وتصرفهم إلى درجة الهذيان بكل كلام قبيح لا خير فيه، وذلك ما تعبر عنه لفظة تهجرون) وبمعنى الترك أي هجر الحق ورد البراهين الصادعة.

**** المثال الثامن:**

قال تعالى: {**ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ**} [غافر: 46].

اختلف القراء بين همزتي الوصل والقطع في الفعل (أدخلوا):

فقرأ ابن عامر وابن كثير وغيرهما بوصل الهمزة وضم الخاء: **(اُدْخُلُوا)**.

وقرأ الباقون بقطعها وكسر الخاء: **(أَدْخِلُوا)**.

وفي قراءة **(أَدْخِلُوا)** أمر للملائكة كي يتسلموا صنفا خاصا من أهل الناس تم اختصاصهم بالذكر، لأن لهم خصوصية تعذيب ليس لغيرهم وهو أنه سينالهم أشد العذاب، أي أن هذا الصنف من الكافرين سيتم إيلاؤهم وضعا ليس لغيرهم.

أما قراءة الوصل **(اُدْخُلُوا)**:

فالجديد فيها ظهور عنصر جديد: وهو نداء القوم المجرمين بالاسم الذي يعرفون به، وتعيينهم بالذكر، أي: ادخلوا يا آل فرعون أشد العذاب **{هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ * اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ}** [يس: 63 – 64].

وهذا النداء على رؤوس الأشهاد فيه تقريع وتوبيخ وتذكير بردهم لكل آيات الله من جراد ودم وضفادع وقمل وقحط، قال الله في فرعون **{وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى}** [طه: 56] فيزيدهم ذلك خوفاً وفزعاً وتشهيرا على رؤوس الخلائق لما خالج نفوسهم في الدنيا من الشعور بالاستعصاء على الله والتجاسر على انتهاك الحرمات والإسراف في القتل واستعباد بني إسرائيل.

** المثال التاسع:

قال الله عز وجل: **{وَكَأَيْن مِّن نَّبِي قاتَلَ مَعَهُ رِبِيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَ اللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ}** [آل عمران: 146].

هذه الآيات الكريمة في سورة آل عمران تتحدث عن طرف من سيرة أنبياء، قاتل معهم أتباعهم، وثبتوا، وما اعتراهم أي ضعف وهم يجاهدون في سبيل الله.

ومعنى "الرِّبيين الجماعات الكثيرة هو من الرِّبة بكسر الراء وهي الجماعة الكثيرة(1)

وقد اختلف القراء في (قَاتَل)، فقرأ ابن كثير وأبو عمرو ونافع (قُتِل)، وقرأ الباقون (قاتل).

= أما قراءة المبني للمعلوم **(قَاتَل)** ففيها ثناء على المقاتلين جميعاً، فمَنْ أصيب في سبيل الله ونال الشهادة، فقد فاز، ومن بقي على قيد الحياة فقد كان حريصاً على نصرة دين الله، ولكن الله استبقاه.

= وأما قراءة المبني للمجهول **(قُتل)** فمعناها: الأنبياء قد أتى عليهم القتل جهاداً في المعارك، فما وَهَنَ باقيهم في سبيل الله بعد مَنْ قتلوا منهم.

---

(1) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز – المؤلف: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: 542هـ) – المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد – الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة: الأولى – 1422 هـ (1/ 521).

ويجوز أن يكون الضمير في (قُتِل) عائداً إلى النبي، والتقدير: وكأين من نبي قتل هو، ومعه ربيون، فما وهنوا بعد قَتْلِ النبي.

وفي هذه القراءة ثناء على من قتل، وهم النبي ومن استشهد معه، وفيها ثناء كذلك على الباقين؛ لمتابعتهم مسيرة الجهاد والثبات، وقد نفت الضعف عنهم. وفي قراءة المبني لما لم يسم فاعله (قُتِل) جارية مجرى التثبيت لأمة محمد صلى الله عليه وسلم وقد قال: {**أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ**} ؛ ولذا فإنه سبحانه يُعري المسلمين لما قتل مَنْ قُتل يوم أحد، بأن أخبرهم بما جرى على من كان قبلهم، أي: فما وَهَنَ مَنْ بقي منهم.

وقد أثار السخاوي سؤالاً في هذه القراءة، فقال: "فإن قلت: فكيف يصح قَتْلُ الربيين مع قوله: (فما وهنوا وما ضعفوا ؟، قلت: معناه أنه قتل بعضهم، فما وَهَنَ البعض الباقي. ويحتمل أن يكون، فما وهنوا (عائداً على الأنبياء)[1].

"وهكذا يجتمع لدينا من خلال القراءتين ما يكون عادة في ساحة الجهاد في سبيل الله: من بذل النفوس رخيصة للفوز بالشهادة، فالنبي يقاتل ومعه ربيون كثير، والقائد نفسه قد يصيبه القتل، والجميع من جند الله، ولا فرق بين النبي والربي في التعرض للمخاطر، والثناء من الله يلحق الجميع. كما أن هذا الثناء يشمل كذلك من بقي على قيد الحياة؛ إذ لا يُصيبه وَهَنٌ وضعف بعد مقتل قائده وإخوانه، فيمضي للعمل في سبيل استمرار الدعوة من غير خور وضعف"[2].

ثانيا- الاختلاف في الأسماء:

** المثال الأول:

قال تعالى: {**وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ**} [إبراهيم: 46].

(1) فتح الرصيد (134/2) ينظر الإعجاز البياني في ضوء القراءات القرآنية المتواترة (ص 300).
(2) الإعجاز البياني في ضوء القراءات القرآنية المتواترة (ص 300).

اختلف القراء في قوله (لتزول) بكسر اللام وفتحها.

=أما كسرها **(لِتَزُولَ)** فعلى أن «إنْ» نافية مثل (إن أنت إلا نذير) فيكون المعنى " وما كان مكرهم لتزول منه الجبال" ففيها نفي تأثيره.

=أما القرة الثانية بفتح اللام **(لَتَزُولُ)** فتفيد التوكيد فتكون «إن» مخففة من الثقيلة أي "وإنه كان مكرهم لتزول منه الجال فعلا" وهو ما يشير إلى عظمه وحجم تأثيره ومدى تآمرهم على الدين. قال تعالى: **{تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا}** [مريم: 90].

وإذا كان أي مكر لا يمكن أن تزول منه الجبال في السابق فقد صار هذا ممكنا مع آلات التدمير فالآية الكريمة تتحدث عن زمنين مختلفين في الإمكنيات.

وحملها بعضهم على المجاز:" يراد بها أمر النبي صلى الله عليه وسلم وما أتى به مثل الأول وتقديره مثل الجبال في القوة والثبات والهاء والميم ترجع على كفار قريش(1)

وقد يقال فكيف تجمع القراءتان بين الشيء والنقيضة؟ وجواب ذلك: أن للمكر حالتين: حالة ضعف في التأثير وحالة أخرى وهي القدرة الكبيرة على التأثير ولكنه أمام مكر الله لا يكون **{قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا}** [يونس: 21] وقال: **{وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا}** [الرعد: 42].

** المثال الثاني:

قال عز وجل: **{وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ}** [الحج: 51].

تقرأ **(معاجِزين)** و**(معجِّزينا)**.

أما **(معاجزين):** مغالبين ويكون بين اثنين والمراد طلب المعاجزة فأيهما يعجز الآخر في الحجة ومنه إظهار قدرتهم على إعجاز الله.

أما **(معجّزينا)** فتعني: مثبطين ومنها نسبة العجز إلى المؤمنين وأن المؤمنين صفتهم العجز والضعف وعدم الحزم كما هو اليوم عدم القدرة على الحكم والضبط والربط وأنهم دراويش.

---

(1) مشكل إعراب القرآن – المؤلف: أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (المتوفى: 437هـ) – المحقق: د. حاتم صالح الضامن – الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت – الطبعة: الثانية، 1405 (1/ 407).

وهذا ما صرنا نجده في بعض القنوات التي تزعم أنها تكتشف أخطاء في الدين وأنها تملك الحجة البالغة في قهر علماء المسلمين كما وجدنا في مناظرة الشيخ الهندي (شامل الندوي) والملحد (جاويد أختر) والآلاف من المناظرات مع ملحدين وكتابيين وعلمانيين ولكنها تنتهي غالبا بهزيمة المعاندين وإقامة الحجة عليهم.

المثال الثالث:

يقول المولى: {**وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلآئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلاً مَّا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ**} [الأنعام: 111].

اختلف القراء في لفظة (قبلاً) فقرأ ابن عامر ونافع (قِبَلاً)، بكسر القاف وفتح الباء وقرأ الباقون (قُبُلاً) فما المعاني والدلالات التي تفيدها هذه اللفظة مع اختلاف القراءة بها ؟

= أما قراءة (قُبُلاً) فقد ذكروا في معانيها ودلالاتها:

١ – جمع قبيل، والمعنى على ذلك: وحشرنا عليهم كل شيء قبيلاً قبيلاً، أي: صنفاً صنفاً، وجماعة جماعة، فلو عاينوا ذلك ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله.

٢– جمع قبيل الذي هو الكفيل. والمعنى: وحَشَرْنا عليهم كل شيء كفيلاً، يتكفل لهم بما نعدهم على إيمانهم بالله إن آمنوا، أو نوعدهم على كفرهم.

= أما القراءة الثانية (قِبَلاً) فتضيف معنى المواجهة والمعاينة. تقول في ذلك: (لقيته قِبِلاً) أي: مواجهة قال تعالى: {**ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا**} [النمل: 37] لا قدرة لهم على مواجهتها.

إن هذه الآية الكريمة وما تضمنته من قراءات تتضافر في تصوير حالة الاستعصاء النفسي في قبول الحق بالغ ما بلغ النبي من الحجج بل حتى لو نزل الله الملائكة من السماء وشهدوا أن الله موجود، وبعث الموتى من قبورهم وكلموا المعاندين وقالوا حقا هناك بعد الموت جنة ونار، ولو حشر عليهم كل شيء قبائل بعد أخرى وجماعات بعد جماعات من أصناف شتى (كل شيء قبلا) ووقفوا جميعا أمامهم وقالوا هذا هو دين الحق لا مراء فيه وأن محمدا نبي من عند الله آمنوا به وتكفلوا لهم بصدق خبرهم لم يكونوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله.

ولا تخلوا الآية من صورة باعثة على خيال واسع وهو نزول الملائكة من السماء .. وخروج الموتى من قبورهم .. وحشر تلك الخلائق أي جمعها إلى الكفار المنكرين وفي مشهد فوق حدود

التصور تأتي تلك الجموع النازلة من السماء .. والخارجة من تحت الأرض .. والزاحفة من اتجاهات شتى وبأصناف مختلفة وكل هذه العوالم ليس لها هدف إلا إقناع المعاندين ومع ذلك لا يرجعون معهم بنتيجة.

وهذا ما يؤكد أن القضية ليست دوما في خفاء الحجج وعدم بيانها بل قد تكون ظاهرة تضافرت لها كل سبل الإقناع ولكنهم لا يقبلون تغيير ما اختروه لأنفسهم، وكما قال الله: **{وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ}** [النمل: 14].

وقال: **{أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ}** [الجاثية: 23]

** المثال الرابع:

قال تعالى: {**وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَى لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ**} [النحل: 62].

تقرأ **(مُفْرَطُونَ)** و**(مُفَرِّطُونَ)** **(مُفْرِطُونَ)** "قرأ نافع بكسرِ الراءِ اسمَ فاعلٍ **(مُفْرِطُونَ)** مِنْ أَفْرَطَ إذا تجاوَزَ، فالمعنى: أنهم يتجاوزون الحَدَّ في معاصي الله تعالى. فأفْعَلَ هنا قاصرٌ.

والباقون بفتحها **(مُفْرَطُونَ)** اسمَ مفعولٍ مِنْ أَفْرَطْتُه[1].

= قال الزجاج "معنى **(مُفْرَطُونَ)** مُقَدمُونَ إلى النار، وكذلك **(مُفرطُون)**، ومن فسَّرَ متروكون فهو كذلك، أي قد جُعِلُوا مُقَدَّمِين في العذاب أبداً متروكين فيه.

= ومن قرأ **(مُفَرِّطُونَ)**، فالمعنى أنه وَصْف لهم بأنهم فَرَّطُوا في الدنيا فلم يعملوا فيها للآخرة وتصديق هذه القراءة قوله: **{أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَاحَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ}** [الزمر: 56].

= وَمَنْ قَرأ **(مُفْرِطُونَ)**، فالمعنى على أنهم أفْرَطوا في مَعْصِيةِ اللَّه[2].

---

(1) من لطائف وأسرار (تفسير السمين الحلبي) من خلال تفسير (الدر المصون في علوم الكتاب المكنون) – المؤلف: أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (المتوفى: 756 هـ) جمع وترتيب/ عبد الرحمن القماش – (ص: 774).

(2) معاني القرآن وإعرابه – المؤلف: إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: 311هـ) – المحقق: عبد الجليل عبده شلبي – الناشر: عالم الكتب – بيروت – الطبعة: الأولى 1408 هـ – 1988 م (3/ 208).

فكلمة واحدة جمعت المقدمة والوسط والنتيجة، فقد فرّطوا في الدنيا ولم يستغلوها، وأفرطوا فيها بالمعاصي، فكانت النتيجة أنهم (مُفْرِطُونَ) قدموا إلى أمهم الهاوية وتركوا فيها جثيا.

إننا نتحدث عن كلمة واحدة شملت منهج حياة العاصي في الدنيا وطبيعة مآله في الآخرة فمن ذا الذي يملك أن يعاجز الله في آياته.

وهناك طائفة من القراءات المتواترة الأخرى من ذلك:

قول الله عز وجل: {مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ} [الفاتحة: 4] باسم الفاعل من المِلك.

وقرئت: {مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ} بالصفة المشبهة من (المُلك).

وقوله: {وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ} [الأعراف: 57]

وقرأت نشرا بين يدي رحمته.

وقوله: {فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ} [التوبة: 12]

أي لا عهد لهم .. وقرأت: {إنه لا إيمان لهم}، ومن معاني الإيمان: الإيمان ضد الكفر – التصديق – الأمان.

وقوله: {لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ} [يوسف: 24] بالبناء للمفعول (اسم مفعول).

وقرئت: {الْمُخْلِصِينَ} بالبناء للفاعل.

وقوله:{إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ} [الروم: 22] باسم الفاعل.

وقرئت: {لِلْعَالَمِينَ} بصيغة الجمود أي الناس أو كل العالم.

قراءات في الوصل والفصل:

فضلا عن قراءات الوصل والفصل ومتباينة بين التواتر وعدمه:

كقوله تعالى: {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا

يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ} [آل عمران: 7].

القراءة الأولى تقف عند (وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ) وقف ثم (وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ).

والقراءة الثانية (وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ).

ويترتب عليها دلالات هامة وجليلة.

ومنها: **{قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ}** [المائدة: 26].

القراءة الأولى (قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ).

والثانية (قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ) ثم (أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ).

المحاضرة السابعة: صور من الإعجاز البياني في:

(الجملة الاسمية والفعلية)

إن من أجل الفروقات الدلالية، التناسب المقامي في اختيار الجملة الاسمية أو الجملة الفعلية.

والجملة الاسمية مأخوذة من الاسم والجملة الفعلية مأخوذة من الفعل .. وهناك فرق بين الاسم والفعل، وهناك أيضا فرق بين اسم واسم وفعل وفعل طبقا لما سيأتي.

فالاسم يدل على الثبوت والدوام ولذلك حين ينقل العرب أسماء مواليدهم يقولون (عامر) (صالح) (محمود) (جميل)؛ لأنها تدل على ثبوتية الاسم مع المسمى ولا يسمون بالفعل مثل (يعمر) و(يصلح) و(يحسن) إلا القليل.

وصفات الله الثابتة واردة بالأسماء قال تعالى **{هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ * هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ * هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}** [الحشر: 22 – 24].

وفرق بين الأفعال من حيث انقطاع حدوث الفعل وتجدده ويفصل بين ذلك السياق فإذا قلت:

- زيد **أطعمني** .. فـ(أطعمني) فعل ماض منقطع لمرة واحدة .. أما قولك:
- زيد **يطعمني** .. الفعل مضارع ويدل على دوام الحدث واستمراره.

وقد يدل الماضي على دوام الثبوت وليس الانقطاع مثل:

- زيد **تخلَّق** بخلق الاسلام .. ف(تخلق) فعل ماض صيغه لكن معناه للدوام وهو أبلغ من قولك:

- زيد **يتخلق** بخلق الإسلام .. أي أنه في حال التشكل ولم يصبح ذا خلق ثابت.

وغالبا تتصف الأفعال الدالة على طباع أو سلوك بالثبات وتتصف الأفعال الدالة على حدث مادي بالانقضاء.

كما أن الأسماء جامدة كانت أو مشتقة تختلف من حيث ثبوت الحدث ودوامه وهي عموما قابلة للاتصاف بالثبوت لأنها خالية من زمن معين فالارتباط بزمن من صفات الأفعال وكونها مرتبطة بزمن فالزمن ينقطع.

وعليه يمكن أن نفرق بين المشترك الجذري في الأمثلة التالية:

- زيد **نَجُسَ** وهو يزيل النجاسة .. (نجس) فعل (ماض) منقض[1] ولو قال نَجُس بالأخلاق غير الحميدة لدل على الدوام.
- زيد **يَنْجسُ** .. فعل (مضارع) ويدل على حدث يتكرر مرة بعد مرة.
- زيد **متنجّس** .. اسم (اسم فاعل) دل على ثبوت حدث النجاسة ودوامها ولكنها صفة منتقلة فيمكن إزالتها.
- زيدٌ **نَجِسٌ** .. اسم (صفة مشبهة) وهي أدل على دوام الحدث من اسم الفاعل وقد يوصف بها الطباع مثل نجس الأخلاق.
- زيدٌ **نَجَسٌ** .. اسم (مصدر) والمصدر يدل على أنه عين الشيء فإذا أخبر بمصدر أو وصف بمصدر فيكون المُخبر به أو الموصوف به كأنه عين الشيء كما قال الله {إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ} [التوبة: 28] أي هم النجاسة نفسها وليس فقط متصفين بها.

ومن لطائف العدول إلى المصدر قول الله: **{وَجَآؤُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ}** [يوسف: 18] لم يقل: بدم كاذب بل«وصف بالمصدر مبالغة، كأنه نفس الكذب وعينه، كما يقال

---

[1] اخترت هذا المثال لأنه يشمل كل الصيغ.

للكذاب: هو الكذب بعينه والزور بذاته. ونحوه: (فهنَّ بهِ جُوْدٌ) و(أنتمْ بهِ بخلٌ) كذبا: نصبًا على الحال بمعنى: جاءوا به كاذبين ويجوز أن يكون مفعولا له، وقيل: بدم كذب: ذي كذب»(1) «بمعنى مكذوب فيه، ويجوز أن يكون وصفا بالمصدر للمبالغة، وقرئ بالنصب على الحال من الواو أي جاؤوا كاذبين»(2).

فالمصدر يدل على عين الحدث، الاسم أدل على الثبوت من الفعل.. والفعل المضارع من حيث الأصل أدل على تكرار الحدث من الماضي المنقطع، هذا هو الأصل وليس في أحدهما البلاغة بل البلاغة هو أن تجعل لكل مقام مقالا ولكل حادث حديثا، فإذا كان وضع الاسم حسن في سياق قد يكون وضع الفعل في سياق آخر أحسن منه والعكس صحيح.

وكل من الاسم والفعل يعكس صورة الواقع انظر في قول المولى تعالى: **{وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ}** [الكهف: 18] (باسط) اسم دل على ثبات الصورة واستقرارها ولو قال "وكلبهم يبسط ذراعيه" لكان المعنى أنه في حالة بسط وقبض ويفعل البسط والقبض بصورة متكررة ومتجددة.

ومن فهمنا للفرق سندرك دقة التعبير القرآني والتوظيف البياني والتناسب السياقي وإعجازه والذي يتضح من التالي:

**** العُدول من الفعل إلى الاسم:**

قال الله تعالى **{إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ}** [الأنعام: 95].

استعملت الآية الكريمة الفعل (يخرج) مع الحي والاسم (مخرج) مع الميت؛ وذلك لأن الحركة معادل موضوعي للحي، والسكون معادل موضوعي للميت، فعكس التناسب الدقة في الاختيار.

---

(1) الكشاف (425/2).

(2) أنوار التنزيل وأسرار التأويل المؤلف: ناصر الدين أبو سعيد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: 685هـ) – المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي – الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت – الطبعة: الأولى – 1418 هـ (278/3).

ومنه قوله عز وجل: **{مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ}** [النحل: 96] فلما كان ما عند الخلق من الودائع يتجدد ويتبدد جيء به مضارعا فقال (ينفد) ولما كان ما عند الله لا يتبدد جيء به اسما فقال (باق).

ولكن يلزم التنبه إلا أن المعنى وليد المقام كما سبق فالآية السابقة تتحدث عن صفات الله وأفعاله الثابتة وبدأت بـ(فالق الحب) (فالق) اسم فاعل دال على صفة ثابتة وكذلك الآية التي تليها **{فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا}** [الأنعام: 96].

أما إذا كان الحديث عن أفعال الله الحادثة والمتجددة فإنها تأتي كلها أفعالا ففي سورة آل عمران قال (وتخرج الميت) لا حظ الأفعال في الآيتين **{قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ}** [آل عمران: 26– 27].

نلاحظ أن قوله تعالى (وتخرج الميت من الحي) جاء في سياق أفعال الله تعالى المتجدد، (تؤتي الملك) (وتنزع الملك) و(تعز) و(تذل).

فقوله: (تخرج الميت) يخرج البذرة الميتة من الشجرة الحية .. ويخرج البيضة الميتة من الطائر الحي .. ويخرج الأظافر والشعر الميت من الحي .. ويخرج اللبن الميت من الحي.

و(يخرج الحي من الميت)، يخرج الشجرة الحية من البذرة الميتة .. ويخرج الطائر الحي من البيضة الميتة .. والإنسان الحي من النطفة الميتة .. ويخرج الدود أو الحشرات الحية من الأرض أو الجيف الميتة .. وهكذا.

= ثم تأمل في قوله عز وجل في المنافقين: **{وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ * اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ}** [البقرة: 14– 15].

قال الله على لسان المنافقين إذا خلوا إلى شياطينهم (إنا معكم) ليدل على ثبات موقفهم في كيدهم لدين الله .. ثم عززها بقوله: (إنما نحن مستهزئون) مؤكدة بأداة الحصر «إنما» وبقولهم (مستهزئون) بصيغة اسم الفاعل ليدل على صفة ثابتة فيهم.

ولما كان الاستهزاء خلة ذميمة فلم يقل الله تعالى "الله مستهزئ بهم" بل (يستهزئ) فكلما ظهر منهم الاستهزاء كان الجزاء من جنس العمل هذا من ناحية وناحية أخرى ذكرها شيخ الاسم الشوكاني رحمه الله قال (يستهزئ) : يفيد التجدد وقتا بعد وقت، وهو أشد عليهم، وأنكأ لقلوبهم، وأوجع لهم من الاستهزاء الدائم الثابت المستفاد من الجملة الاسمية، لما هو محسوس من أن العقوبة الحادثة وقتا بعد وقت، والمتجددة حينا بعد حين، أشد على من وقعت عليه من العذاب الدائم المستمر لأنه يألفه ويوطن نفسه عليه(1).

وقد يقال وماذا عن قوله عز وجل: **{إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا}** [النساء: 142].
فقد أسندت صيغة الإسمية (خادعهم) إلى الله وصيغة الفعلية (يخادعون) إلى المنفقين.

والجواب: أن الأمر والله أعلم يعود إلى أن السياق في سورة النساء اجتمع فيه جملة من أساليب الكيد ما ليس في سورة البقرة ففي سورة النساء من آية 140 إلى آية 143 وردت في حق المنافقين ألفاظ الكيد والتلوُّن فهم: (يستهزئون) و(يتربصون) و(يراءون الناس) و(يخادعون الله) و(مذبذبون) فكان المعادل الموضوعي أن يكون الجواب (والله خادعهم) أي مهما استمروا في مدافعة الإسلام بصنوف السخرية والكيد والخداع والتمثيل الزائف فالله ناقض مؤامراتهم وفاضح أساليبهم ومبطل أفعالهم، وكما قال {إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا * وَأَكِيدُ كَيْدًا} [الطارق: 15- 16].

=من ذلك قوله تعالى: **{إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَاماً قَالَ سَلَامٌ}** [الذاريات: 25].
قوله: (سلاما) جملة فعلية حذف منها الفعل، وقوله: (سلامٌ) جملة اسمية حذف منها المبتدأ، وكلاهما في محل نصب مقول القول .. وأصل البناء التركيبي في الفعلية: (قالوا: نسلم سلاما) وأصله في الاسمية:

(1) من لطائف وأسرار (تفسير الشوكاني) (ص: 8).

– قال: أمرنا سلامٌ .. أو سلام عليكم.

والفرق الدلالي أن تسليم نبي الله إبراهيم عليه السلام جاء بالجملة الاسمية التي تدل على الدوام والثبوت أي سلام ثابت غير منقطع، الموافق لخُلق الأنبياء وخُلق المُسْتقبِل الذي حقه أن يستقبل الضيف أو القادم بترحيب فيه بر وتأنيس.

أما نسلم سلاما ونحوه، فسلام الملائكة يدل على الحدث المتجدد، شأن الجملة الفعلية، و(سلاما): مفعول مطلق فيه تأكيد للحدث، وشأن القادم أن يلقي التحية للأمان كما نقول في تحية الإسلام (السلام عليكم) فيسن الجواب: (وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته) لقول الله: **{وَإِذَا حُيِّيْتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا}** [النساء: 86] ففي الجواب التأمين بالرد بمثلها وفيه البر بأحسن منها.

** العدول من الفعل إلى الاسم:

قد يعدل النص من استخدام الفعل إلى الاسم إذا أريد اتصاف الحدث بالدوام .. ولما كان الإصلاح بين الناس وتربية أخلاقهم هو قوام المجتمع المسلم فقد جاء شرط عدم هلاك القرى مقترنا بالاسمية الدالة على الثبوت في الإصلاح فقال: **{وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ}** [هود: 117] فلا يكفي أنهم يصلحون مرة ويرفعون أيديهم ومسؤوليتهم مرة بل لا بد من تحويل الإصلاح واحتواء ظاهر الانحراف إلى خلق وعادة ويكون ذلك من الصفات الثابتة فيهم.

ثم إنه قال (مصلحون) ولم يقل "صالحون" فلا يكفي أن يكون العبد صالحا في نفسه بل لابد من إصلاح غيره فـ(مصلح) مشتق متعد و(صالح) قاصر.

= وقد يؤخذ منه أن مجيء وصف (السارق والسارقة) بالاسمية الدالة على الثبوت والدوام في قوله تعالى: **{وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}** [المائدة: 38] وكذلك (الزاني والزانية) في قوله تعالى: **{الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ}** [النور: 2].

يدل على أن فضح سترهما من الله واستحقاقهما للحد لم يكن عند أول مرة، بل نتيجة تجدد الفعل والإصرار عليه وقد أورد ابن كثير رحمه الله "عن انس ان عمر اتى بشباب قد حل عليه القطع فامر بقطعه فجعل يقول يا ويله ما سرقت قط قبلها فقال عمر كذبت ورب عمر ما اسلم الله عبدا عند اول ذنب اسناده صحيح (1).

وذكر محمد أبو زهرة:" بأن كثيرين من الفقهاء اعتبر توبة السارق قبل إقامة الحد عليه تسقط الحد، فلا يقام عليه، ولا تكون التوبة عند التكرار، بل يكون موضعها عند الارتكاب الأول مرة(2).

**العدول من الماضي إلى المضارع للتجدد:

قال الله تعالى: {الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ * وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ * وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ * وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ} [الشعراء: 78 - 81].

جاء الفعل في قول الله على لسان إبراهيم عليه السلام (الذي خلقني) بصيغة الماضي لأن الخلق قد تم وانتهى .. أما الطعام والشراب والصحة فهي أفعال متجددة لذلك جاء بالفعل المضارع (يطعمني) (يسقين) (يشفين) كذلك فعل الموت والإحياء أفعال تتكرر في حق بين آدم إلى البعث

ثم لا حظ قال (وإذا مرضت) بصيغة الماضي؛ لأن المرض ليس من طبائع الإنسان المتجددة الثابتة في كل إنسان فقد يعيش منهم دهرا بصحة فهو عارض ومتفاوت بين الناس.

ومن ذلك قوله تعالى: **{وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ**

(1) مسند أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأقواله على أبواب العلم - المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ) - المحقق: عبد المعطي قلعجي -دار النشر: دار الوفاء - المنصورة - الطبعة: الأولى، 1411هـ - 1991م (2/ 509).

(2) زهرة التفاسير - المؤلف: محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفى: 1394هـ) - دار النشر: دار الفكر العربي (4/ - 2177).

مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا} [النساء: 92].

قال (وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا إلا خطأ) جاء الفعل (يقتل) بصيغة المضارع لأنه في سياق نفي ثبوت ذلك من المؤمن ضد المؤمن واللام في (لمؤمن) للتوكيد قيل الآية صيغة خبرية في معرض النهي فالله يخبر عن أن المؤمن لايمكن أن يتقصد قتل مؤمن مؤمنا ففي صيغة المضارع إشارة إلى تكرر العزم منه قال الطاهر بن عاشور رحمه الله: " أي ما وجد لمؤمن أن يقتل مؤمنا في حال من الأحوال إلا في حال الخطأ، ينتفي قتل المؤمن مؤمنا في كل حال إلا في حال عدم القصد، وهذا أحسن ما يبدو في معنى الآية[(1)].

قد يقال: فإذا كان ذلك ممكنا في حال الخطأ فلماذا قال (يقتل) بالمضارع المتجدد؟ نعم ليس الخطأ فقط أن يرمي نحو صيد فتقع في مؤمن فيقتله ولكن أيضا قد يتقصد قتله ويتعمد ذلك كأن يظنه كافرا محاربا وهو مسلم فيقتله عمدا روى ابن كثير رحمه الله قال" قال مجاهد وغير واحد: نزلت في عياش بن أبي ربيعة أخي أبي جهل لأمه وهي أسماء بنت مخرمة، وذلك أنه قتل رجلاً يعذبه مع أخيه على الإسلام وهو الحارث بن يزيد الغامدي، فأضمر له عياش السوء، فأسلم ذلك الرجل وهاجر وعياش لا يشعر، فلما كان يوم الفتح رآه فظن أنه على دينه فحمل عليه فقتله(2).

ثم قال (ومن قتل مؤمنا) بصيغة الماضي: أي أنه قتله ولكن ليس عن تقصد وترصد وتكرر ذلك منه.

---

(1) التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» – المؤلف : محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : 1393هـ) – الناشر : الدار التونسية للنشر – تونس – سنة النشر: 1984 هـ (5/ 156).

(2) تفسير القرآن العظيم – المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774 هـ) – المحقق: محمود حسن – الناشر: دار الفكر – الطبعة: الطبعة الجديدة 1414 هـ/1994 م (1/ 660).

قال السامرائي فجاء في القتل الخطأ بالفعل الماضي لأنه خطأ لا يتكرر، وهو قليل بخلاف القتل العمد وهو الإصرار على قتل المؤمن، فقد جاء به بصيغة المضارع الدالة على الاستمرار والتجدد لأنه يتكرر وقوعه» [1].

ثم قال في الآية التي تليها: **{وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا}** [النساء: 93].

قال (يقتل) بصيغة المضارع، والتعمد يدل على تجدد الفعل بالإضمار والحدوث، كأنه تقصده لقتله.

ثم إن استحلال قتل المؤمن للمؤمن بغير حق يكون قد استحل هدر دم موحد يعبد الله فيكون بذلك قد كفر قال الصابوني رحمه الله: "من يقدم على قتل مؤمن عالماً بإيمانه متعمداً لقتله فجزاؤه جهنم مخلداً فيها على الدوام، وهذا محمول عند الجمهور على من استحل قتل المؤمن كما قال ابن عباس لأنه باستحلال القتل يصبح كافراً[2].

= ومن ذلك قول الله تعالى في بني إسرائيل **{فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ}** [البقرة: 87].

جاء بالفعل (كذبتم) في تكذيب بني إسرائيل للأنبياء بصيغة الماضي لأنه تكذيب واحد فمن كذب بنبي فقد كذب بجميع الأنبياء فدينهم واحد وهو (الإسلام) ثم كأنهم يكتفون برد واحد للرسالة دون تردد وهذا أبعد مدى في الإنكار.

ولما كان دأب بني إسرائيل هو قتل الأنبياء كفعل متجدد فيهم بما فيه محاولاتهم لقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم[3] جاء بالمضارع (تقتلون) ولم يقل وفريقا قتلتم.

---

(1) معاني النحو للدكتور/فاضل بن صالح السامرائي – الناشر دار الفكر للنشر والطباعة والتوزيع – عمان – الطبعة الأولى – 1420هـ – 2000م (50/4).

(2) صفوة التفاسير – المؤلف: محمد علي الصابوني – الناشر: دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة – الطبعة: الأولى، 1417 هـ - 1997 م (1/ 272).

(3) وبهذه الصيغة استدل ابن كثير على أن النبي – صلى الله عليه وسلم – مات شهيدًا.

** التصوير الفني بالعدول من الماضي إلى المضارع:

يتسم القرآن الكريم بطريقة إعجازية فريدة في التصوير .. فهو بطريقة نظمه ينقل جزئيات الأحداث الصغيرة فضلا عن كلياتها .. ويعكس المعاني الذهنية والحالات النفسية بشكل مادي كأبدع ما يكون التصوير، وبخاصة أحداث يوم القيامة وذلك لتجسيد مسيرة الخلود؛ كأنها رأي العين فترى شخوص الأبصار .. وغبرة الوجوه .. وسلب الإرادات .. والسير بالزجر والدفع .. وقد علت الكافرين الذلة والندم .. وليس ذلك إلا ليقيم الله بكتابه الحجة على عباده .. ويريهم مصيرهم القادم، فلا يتفاجؤون بتلك الأحداث الرهيبة فيحاجون الله في عدله، ويقولون ما سمعنا بمثل هذا، لماذا ربنا لا تخبرنا بهذا المصير؟ وتأمل قوله جل ثناؤه: **{إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ}** [الحج: 1- 2].

أما مادة التصوير الحركي في الدنيا التي بعرضها تأخذ النفس .. وتولِّد الخيال .. وتفرض المعايشة الوجدانية هو ما نراه من مثل قصص الأنبياء التي علت قصة يوسف –عليه السلام– ذروتها في التصوير الفني المتضمن للتشويق والإثارة .. والعُقدة والحل .. وإبراز الأبطال المحوريين .. ونقل الزمان والمكان .. وتاريخ ثقافة المعاملات في ذلك الزمن .. ثم جمال القفلة والخاتمة التي تصرف القارئ عنها راضيا، وهذا المجال واسع وعريض وأكبر من أن يتناوله بحث واحد، ولكن دعنا نكتفي بأمثلة محصورة قابلة للقياس.

** حكاية الحال الماضية:

كثيرا ما ينقل القرآن الكريم صور الأحداث الماضية لا بصيغة الماضي بل بوضع الفعل المضارع موضع الماضي لأن طاقات التصوير الحركي من شأن الفعل المضارع فهو يسهم في نقل الصور والأحداث بخصائص الحياة النابضة والحركة المتجددة

ومن أمثلته عندهم قول تأبط شرا يحكى صراعًا مع كائن شبحي.

أَلا مَنْ مُبلغٌ فتيانَ فهمٍ ** بِمَا لاقَيْتُ عِنْدَ رَحَى بِطَانِ
بأني قد لقيتُ الغولَ تهوي ** بِشُهْبٍ كَالصَّحِيفَةِ صَحْصَحَانِ
فَشَدَّتْ شَدَّةً نَحْوِي فَأَهْوَى ** لها كفِّي بمصقولٍ يماني
فأضرِبها بلا دهشٍ فخرَّت ** صَرِيعاً لِلْيَدَيْنِ وَلِلْجِرَانِ[1]

يروي الشاعر أنه (لقي) الغول بصيغة الماضي؛ لأن الحدث وقع في الماضي فهو يحكيه، ثم ينقل حدث الصراع وهما يتعاركان بالعُدُول إلى المضارع فقال (تهوي) ولما أراد نقل صورته ويجسد بطولته وهو يضربها فيرفع مقامه عند محبيه، ويدخل الرعب في قلوب مبغضيه قال (أهوي) (فأضربها) وقد نجح بهذا العدول في تحقيق الدلالة البلاغية وهى استحضار صورة الحدث كأنه يحدث الآن في زمن التكلم.

ومثله "ما ورد من حديث الزبير بن العوام – رضي الله عنه – في غزوة بدر فإنه قال: لقيت عبيدة بن سعيد بن العاص، وهو على فرس، وعليه لأْمَةٌ كاملة، لا يرى منه إلا عيناه، وهو يقول: أنا أبو ذات الكئوسِ وفي يدي عنزة، فأطعن بها في عينهِ فوقع وأطأ برجلي على خده، حتى خرجت العنزة متعقفة[*].

فقوله (**فأطعن** بها في عينهِ **وأطأ** برجلي) معدول به عن لفظ الماضي إلى المستقبل، ليمثل للسامع الصورة التي فعل فيها ما فعل من الإقدام والجراءة، على قتل ذلك الفارس، المستلئمِ، ألا ترى أنه قال أولاً: (لقيت عبيدة) بلفظ الماضي ثم قال بعد ذلك: (فأطعن) بها في عينهِ ولو عطف كلامه على أوله لقال فطعنت بها في عينه"[2].

(1) الغول: نوع من الشياطين كانت العرب تزعم أنها تظهر للناس في الفلاة فتتلون لهم بصور شتى و تضلهم و تهلكهم ، أو هي حيوان وهمي لا وجود له.

تهوي: تنقضّ – سهب: الفلاة – صحصحان: الأرض المستوية الواسعة – نِضو: المهزول المجهد – الأين: التعب – الجران: باطن العنق – الجنان: القلب .

(*) عَنَزَتُه حَدَّهُ الطَّوِيلُ" تاج العروس لمحمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: 1205هـ) – المحقق: مجموعة من المحققين – الناشر: دار الهداية (479/16).

(2) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر – المؤلف: ضياء الدين بن الأثير، نصر الله بن محمد (المتوفى: 637هـ) – المحقق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة – الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة . القاهرة (13/2).

ونأتي إلى كتاب الله العزيز الذي نزل بلسان عربي مبين قال الله تعالى: **{إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ}** [آل عمران: 59].

لم يقل "كن فكان" بل جاء بالمضارع حكاية عن الماضي، فحال الفعل باعتبار ما كان وليس ما هو كائن، ولو قال "كن فكان" سيفقدنا تخيل آدم وهو يتشكل في أطوار الخلق الأولى .. فما هو مقطوع به أن آدم – عليه السلام – مر بمراحل خلق .. بدأ من تراب .. ثم من طين .. ثم من طين لا زب .. ثم من مارج من نار .. ثم من صلصال كالفخار .. ثم سواه ونفخ فيه من روحه.

والله قادر على خلقه بلا أطوار، ولكن لما أودع الله للإنسان سننا يسير عليها جرى مجراها ليعلمنا أهمية القوانين ومنها التدرج فيما له مراحل بناء.

ومنه قوله تعالى: **{وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ}** [فاطر: 9].

قال صاحب التحرير والتنوير رحمه الله: "إذا قد كان القصد من الاستدلال هو وقوع الإحياء وتقرر وقوعه جيء بفعل الماضي في قوله: أرسل. وأما تغييره إلى المضارع في قوله: (فتثير سحابا) فلحكاية الحال العجيبة التي تقع فيها إثارة الرياح السحاب[1] "فإنه إنما قال (فتثير) مستقبلاً وما قبله وما بعده ماض لذلك المعنى الذي أشرنا إليهِ، وهو حكاية الحال التي تقع فيها إثارة الريح السحابِ واستحضار تلك الصورة البديعة الدالة على القدرة الباهرةِ، وهكذا يفعل بكل فعل فيه نوع تمييز وخصوصية، كحال تستغرب أو تهم المخاطب أو غير ذلك"[2]. فقد أريد إذن من العدول عن الماضي إلى صيغة المضارع معنى الحركة الحاضرة، التي تثير الخيال وتعين المخاطب على استحضار الصورة ماثلة.

---

(1) التحرير والتنوير (22/ 268).

(2) إعراب القرآن الكريم وبيانه لمحي الدين الدرويش – اليمامة للطباعة والنشر ودار ابن كثير – دمشق وبيروت الطبعة الثامنة 1422هـ 2001م (270/6).

ومنه: { أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ} [الحج: 63] [1] عدل عن العطف على الماضي بالماضي إلى المضارع لإعطاء معنى ديمومة أثر المطر، قال الزمخشري: "فإن قلت: هلا قيل: فأصبحت ؟ ولِمَ صرف اللفظ إلى المضارع ؟ قلت: لنكتة فيه وهي إفادة بقاء أثر المطر زمانا بعد زمان كما تقول: (أنعم عليَّ فلانٌ عام كذا فأروح وأغدو شاكرا له). ولو قلت: فرحت وغدوت ؛ لم يقع ذلك الموقع"[2].

ثم تأمل واستحضر كيف تنمو الحياة بعد الموات وتكسو وجه البسيطة حلل الزرع الجميل المختلف الألوان، فتتماوج الأشجار والأزهار كأنك تراها وترسل الأطيار إيقاعاتها المطربة سعادة بحياة نابضة كأنك تسمعها، ثم ما تلبث أن يهيج الزرع ويتم جفافه ثم شيئا فشيئا يذبل ويتحول إلى حطام، كل هذا تصوره الآية الكريمة: {لَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ} [الزمر: 21].

جاء في أضواء البيان: "التعبير بالمضارع يفيد استحضار الهيأة التي اتصفت بها الأرض بعد نزول المطر، والماضي لا يفيد دوام استحضارها لأنه يفيد انقطاع الشيء"[3].

ومنه قوله تعالى أيضاً: {وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاء فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ} [الحج: 31] فقال أولاً (خر من السماء) بلفظ الماضي ثم عطف عليه المستقبل الذي هو (فتخطفه) و(تهوي) وإنما عدل في ذلك إلى المستقبل لاستحضار صورة خطف الطير إياه وهوي الريح به"[4].

---

(1) والشاهد قوله (فتصبح) الفاء عاطفة لا سببية؛ لأن الاستفهام تقريري مؤول بالخبر أي: قد رأيت، والخبر لا جواب له، وأيضا لا تصح السببية – هنا – فإن الرؤية لا يتسبب عنها اخضرار الأرض، وعطف المضارع على الماضي لما ذكرنا.

(2) الكشاف (170/3).

(3) أضواء البيان (295/5).

(4) المثل السائر (15/2).

** الحديث عن المستقبل كأنه قد وقع:

أ- العدول من المضارع إلى الماضي.

قد يأتي الماضي لفظا بصيغته ويكون معناه للمستقبل مثل أن يأتي في سياق شرط نحو: (إذا جاء زيد فأكرمه) فصيغة (جاء) ماض لفظا، لكنه معناه للمستقبل، وقد يحصل في الماضي ويبقى مستمرا نحو: (ربنا أمنا فاغفر لنا) فالفعل (آمنا) ماض ولم ينقطع الإيمان، ويكثر في الأفعال المعنوية المجردة مثل (صدَّقناك) (أحببناك).

وقد يأتي المضارع لفظا بصيغته ومعناه للمضي كأن يدخل في سياق النفي بـ«لم» نحو: (لم يحضر زيد بالإمس) أو دخله كان مثل (كنت تقوم ببر والديك).

وقد يأتي الفعل ماضيا صيغة ويراد به المستقبل بدون قرائن لفظية بل قرينة معنوية وذلك لإرادة تأكيد حدوثه كأنه قد تم، وهذا في القرآن الكريم كثير وواسع، فالله تعالى تحدث كثيرا عن أحداث ستقع في الآخرة بصيغة الماضي لحتمية وقوعه، مثل **{أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ}** [النحل: 1] فكيف يقول (أتى) ثم يقول (فلا تستعجلوه) أي أنه سيأتي؟ وما ذلك إلا لما سبق وأن قلنا إن الله الذي هو فوق الزمان يتحدث عن المستقبل كأنه قد حدث فـ(أتى) ماض لفظا مستقبل معنى .. فالمراد بـ(أمر الله) يوم القيامة.

واقرأ سورة الزمر من أية [70] إلى آية [74] ستجد الحديث عن أحداث الاخرة بصيغة الماضي وغيرها من السور ومن ذلك: **{وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ}** [الأعراف: 44].

إن هذا الأسلوب التصويري في نقل تفاصيل أحداث لم تقع كأنها قد وقعت، فيه تجسيد لمسيرة الخلود وأحداث مسرح الحياة القادمة ونقل تجارب إنسانية كما لو أنها قد وقعت حافلة بالعبر والأهوال تتغيا مساعدة القارئ على تمثُّلها في خياله كأنها قد وقعت وهو جزء منها، فيقوده ذلك إلى وضع نفسه في الموضع الذي يحب إما في مواطن النجاة وربح النفس أو مواطن العذاب والخسران.

ب- العدول من المضارع إلى الاسم:

وإذا استبدل الفعل المضارع الدال المستقبل بالاسم فقد أريد بذلك أيضا التأكيد على ثبوت وقوعه وكأنه قد وقع لأن الاسم يدل على الثبوت كما سبق، فربما قلت للطالب الذكي قبل دخول الاختبار (أنت ناجح) بدل (ستنجح) كأنه قد اختبر ونجح للمبالغة في تأكيد حدوثة ومن ذلك قول الله تعالى لنوح عليه السلام: **{وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ}** [هود: 37].

لم يقل إنهم "سيغرقون" بل (مغرقون) لتأكيد حدوثة، كأن الغرق صار صفة من صفاتهم.

ومن ذلك قوله: **{إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ}** [الزمر: 30]. لم يقل "إنك ستموت وإنهم سيموتون" بل ميت وميتون كأنكم لحتمية وقوعه قد صار صفة ثابتة، كأن تقول لآخر تهديدا له أنت ميت ميت.

ولما كانت الإرادة الإلهية قد قضت بخلق خليفة له على الأرض عبر عنه بالاسم كأنه لحتمية وقوعه فقال تعالى: **{إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ}** [ص: 71] **{وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً}** [البقرة: 30] ولم يقل "سأخلق" أو "سأجعل".

العدول بين الفعل والاسم للتناسب:

ونلحظ دقة التعبير القرآني وتناسبه في مواضع عدة فما كان دالا على الدوام يعبر عنه بالاسم وما كان غير ذلك عبر عنه بالفعل ومما جاء منه قوله تعالى: **{سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ}** [الأعراف: 193] «فقال (دعوتموهم) بالفعل ثم قال: (أم أنتم صامتون) ذلك أن الحال الثابتة للإنسان هي الصمت، وإنما يتكلم لسبب يعرض له فالكلام الطارئ يحدثه الإنسان لسبب يدعو إليه، ولذا لم يسوّ بينهما بل جاء للدلالة على الحال

الثابتة بالاسم (صامتون) وجاء للدلالة على الحال الطارئة بالفعل (دعوتموهم) أي: سواء أأحدثتم لهم دعاء أم بقيتم على حالكم من الصمت»(1).

قال الخضري في الحاشية: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ﴾ [الأعراف: 193] «إن المقتضى للتخالف أن دعاء الأصنام متجدد منهم فناسبه الفعلية، وعبر في الثاني بالاسمية لتفيد أن هذا الدعاء مساوٍ للصمت الدائم في عدم الإفادة. فكأنهم لم يدعوا أصلاً. ولو عبر بالفعلية لفات هذا المعنى فتدبر»(2) وقوله (أدعوتموهم) مصدر متصيد من الفعل أي (سواء عليكم دعوتهم).

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ﴾ [الملك: 19].

قال الزمخشري رحمه الله :" فإن قلت: لم قيل: (ويقبضن)، ولم يقل: وقابضات؟

قلت: لأن الأصل في الطيران هو صف الأجنحة، لأنّ الطيران في الهواء كالسباحة في الماء، والأصل في السباحة مدّ الأطراف وبسطها. وأما القبض فطارئ على البسط للاستظهار به على التحرك، فجيء بما هو طار غير أصل بلفظ الفعل، على معنى أنهن صافات، ويكون منهن القبض تارة كما يكون من السابح(3).

**العدول إلى المصدر المؤول أو الصريح:

قال عز وجل: ﴿وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: 184]. يقول أستاذنا الدكتور/ محمد حماسة: «في هذه الآية – على سبيل المثال – نجد أنَّ (أن تصوموا) مع أنها مقدرة بالصوم تضيف معنى آخر آتيا من صيغة الفعل وإسناده إلى واو الجماعة، إذ تفيد التجدد والحدوث

---

(1) الجملة العربية – تأليفها وأقسامها – المؤلف الدكتور فاضل صالح السامرائي – الناشر دار الفكر للطباعة والنشر – عمان – البتراء – الطبعة الثانية (ص 162).

(2) حاشية الخضري على شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك – المؤلف: محمد بن مصطفى الخضري المتوفي (1287) – دار الكتب العلمية – بيروت (399/1).

(3) من لطائف وأسرار (تفسير الكشاف للزمخشري) – من خلال تفسيره (الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل) – جمع وترتيب/ العاجز الفقير: عبد الرحمن القماش (ص: 1588).

والتكرار والمداومة، على خلاف ما إذا قيل: الصوم خير لكم؛ لأن " موضوعَ الاسم على أن يُثْبت به المعنى للشيء من غير أن يَقتَضي تجدُّده شيئاً بعد شيء. وأما الفعل فموضوعه على أنه يقتضي تجدُّدَ المعنى المثبت به شيئاً بعدَ شيء(1) كما يقرر عبد القاهر، وهذا يؤكد أن البنية السطحية تشترك مع البنية العميقة في إمداد الجملة بدلالتها، فالتحويل في العربية ليس وسيلة تفسيرية فحسب لبنية الجمل ولكنه مكون مهم من مكونات دلالة الجمل والتراكيب»(2).

وأما ما ورد كقول الله تعالى: **{وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاء اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحاً فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}** [النور: 60] ولم يقل واستعفافهن الذي يدل على صفة الدوام فـ«ذلك أن الحكم بخيرية استعفاف القواعد من النساء من وضع ثيابهن إنما يصدق على ما يستقبل من زمانهن، إذا لم يكن لهذا الحكم وجود في واقعهن – قبل نزول هذا النص»(3).

ومن لطيف الفرق بين دلالة المصدر والفعل قوله تعالى: **{لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ}** [الممتحنة: 10] فأخبر عن ضمير النساء المؤمنات بالمصدر (حلّ) وعن ضمير الكفار بالفعل (يحلّون) قال الألوسي: «فإنه تعليل للنهي عن رجعهن إليهم، والجملة الأولى: لبيان الفرقة الثابتة وتحقق زوال النكاح الأول، والثانية: لبيان امتناع ما يستأنف ويستقبل من النكاح ويشعر بذلك التعبير بالاسم في الأولى والفعل في الثانية.

وقال الطيبي في وجه اختلاف التعبيرين: إنه أسندت الصفة المشبهة إلى ضمير المؤمنات في الجملة الأولى، إعلاما بأن هذا الحكم يعني نفي الحل ثابت فيه الإخلال والتغيير من جانبهن، وأسند الفعل إلى ضمير الكفار إيذانا بأن ذلك الحكم مستمر الامتناع

---

(1) دلائل الإعجاز (ص 141).

(2) من الأنماط التحويلية في النحو العربي المؤلف الدكتور / محمد حماسة عبد اللطيف – دار الغريب للطباعة والنشر – القاهرة – 2006م (ص 57).

(3) تعدد الأنماط للوظائف النحوية دراسة دلالية رسالة دكتوراه لمسعد محمد عبد الغني عواد كلية دار العالم 2006م (ص 35).

في الأزمنة المستقبلة، لكنه قابل للتغير باستبدال الهدى بالضلال، وجوز أن يكون ذلك تكريرا للتأكيد والمبالغة في الحرمة وقطع العلاقة، وعلق عليه الألوسي قال: ولعل الأول أولى(1).

قال تعالى: **{فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقاً فِي الْبَحْرِ يَبَساً لَّا تَخَافُ دَرَكاً وَلَا تَخْشَى}** [طه: 77] (يبسا) صفة ثانية، وهو وصف لما يؤول إليه»(2).قال شيخ الإسلام الشوكاني: «معنى (يبسا) يابسا وصف به الفاعل مبالغة، وذلك أن الله تعالى أيبس لهم تلك الطريق، حتى لم يكن فيها ماء ولا طين، وقرئ يبْسا بسكون الباء، على أنه مخفف من يَبَسًا المحرك، أو جمع يابس كصَحْب في صاحب»(3).

---

(1) روح المعاني (75/28).

(2) إعراب القرآن الكريم – المؤلف: أ. د.الحسين بن محمد شواط – تقديم: سيد جمعه سلاّم (707/4).

(3) فتح القدير المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: 1250هـ) – الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت – الطبعة: الأولى – 1414 هـ (540/3).

المحاضرة الثامنة: صور من الإعجاز البياني في:

(سورة الفاتحة)

في نهاية هذه المباحث يجمل بنا أن نتناول صورا من الإعجاز البياني في أم الكتاب (سورة الفاتحة) لنجلي بعض حقائقها وأسرارها ونتناولها على النحو التالي:

قال تعالى: {بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ} [الفاتحة: 1].

بدأت السورة الكريمة ب(بسم الله الرحمن الرحيم) جملة اسمية إذا كان المعنى باسم الله ابتداؤنا .. وجملة فعلية إذا كان المعنى باسم الله نبدأ .. وعدم التقييد يفيد التوسع في المعنى أي أن كلا من المعنيين وارد فقد يناسب بعض السياقات الجملة الاسمية لأنها أدل على الثبوت والدوام، وبعض السياقات الجملة الفعلية لأنها أدل على التجدد والحدوث.

والبسملة هي في سورة الفاتحة آية من السورة وليست آية في بقية السور وإنما جعلت البسملة آية في الفاتحة لأنها فاتحة السورة والسورة فاتحة كل القرآن .. فدخلت في السبع المثاني وهي (الفاتحة) أي التي تثنى في كل صلاة ..

والمراد أننا باسم الله قراءتنا أو نقرأ القرآن .. وباسم الله صلاتنا أو نصلي .. وباسم الله دعاؤنا أو ندعو .. كل ذلك وغيره هو باسم الله لا باسم الدنيا .. ولا باسم العادة الاجتماعية .. ولا باسم الرياء ولا باسم مسميات وثنية أخرى.

ونحن نعلم أن أول سورة نزلت على محمد صلى الله عليه وسلم هي سورة (العلق) وقد بدأ الوحي بالتأكيد على تخليص القراءة لله فقال (اقرأ باسم ربك) أي لا باسم دنيا .. ولا باسم الجاه .. ونقول لمن يقرؤون ويتعلمون اقرؤوا باسم ربكم لا باسم الدنيا .. ولا باسم المجد الذاتي .. ولا باسم شهادة .. فقد تحصلون على كل ذلك ولكن ضبط المؤشر نحو الله تعالى يضمن للإنسان أجر النية السليمة.

والملفت أن سورة العلق أضافت الاسم إلى الرب ولم تقل اقرأ باسم الله بل (باسم ربك الذي خلق) لأن الله تعالى لم يكن حينها معبودا في الأرض فذكّر الله تبارك وتعالى نبينا صلى الله عليه وسلم بحق الربوبية التي تعني الخالق الرازق الذي تعود له نعمة الايجاد والامداد والإرشاد .. في حين أضيفت في الفاتحة إلى الله لأنها مفتتح العبادات ومعنى الله متصل بالعبودية.

تكررت (بسم الله الرحمن الرحيم) بعدد سور القرآن إلا في سورة التوبة لأنها تضمنت فضح الكفار والمنافقين والتقريع والوعيد ولايستقيم معها ذكر الرحمة.

ووردت في سورة (النمل) على لسان ملكة سبأ حين وصفت خطاب سليمان عليه السلام للملأ واقتضى ذكر أهم ما فيه **{إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ}** [النمل: 30] أي ليس باسم سليمان ولا باسم مملكته ولا باسم طغيان الملك بل هو باسم الله الذي هو بالناس رحمان ورحيم ..

قال الله تعالى: {ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ} [الفاتحة: 2].

نبدأ بـ(الحمد لله) لم يقل المولى تعالى" حمدا لله."

لأن حمدا لله توكيد لحدث فعل واحد مرتبط بزمن ينتهي فهي بمعنى "أحمد الله حمدا" .. والحمد المقيد بحدث وزمن ليس كالحمد المطلق منهما.

كذلك لم يقل "لله الحمد".

لأن تقديم ما حقُّه التأخيرُ هاهنا سيفيد قصر الحمد على الله وحده فهو جار مجرى ما الحمد إلا لله وهذا القصر لايكون إلا في الآخرة قال تعالى: **{فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}** [الجاثية: 36] أما في الدنيا فقد يُحمد غيرُ الله فليس مقصورا عليه الحمد قال تعالى: **{وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُواْ بِمَا لَمْ يَفْعَلُواْ}** [آل عمران: 188]على أن القصر لا يحقق معنى الشمول كصيغة (الحمد لله).

ولم يقل "إن الحمد لله"

كما قد يفعله بعض الخطباء اليوم لأن الأصل في التوكيد أن يكون في مقام المتشككين أو المنكرين وليس كل الناس ينكرون استحقاق الحمد للمنعم المتفضل سبحانه.

*أما (الحمد لله) فقيمها الدلالية الإعجازية جمة منها:

أولا – الحمد لله تفيد الثناء على الجميل من نعمة أوغيرها .. مع المحبة والإجلال للمنعم وتتضمن الإقرارَ بمحاسن صاحب الفضل، من صفات أو أفعال حقيقية، وليس مجرد شكر على عطية منفصلة عن تقدير المعطي وإجلاله.

ثانيا– الحمد لله جملة اسمية والجملة الاسمية تفيد الثبوت والدوام فيشمل (الحمد لله) الزمن قبل الخلق وبعده .. وتشمل الدنيا والآخرة قال تعالى: (له الحمد في الأولى والآخرة).

ثالثا– "أل" في الحمد لله تفيد استغراق الجنس أي كل المحامد لله .. بكل صيغه وأساليبه .. وتعم حمد كل الحامدين من ملائكته، وإنسه، وجنه، وطيره، ووحشه، فلله الحمد المطلق.

رابعا– الحمد لله فيها معنى الخبرِ والإنشاء فالمؤمن لا يخبر أن الحمد لله وحسب بل وينشئ الحمد لله من ذاته لذات الله .. فهو يحمد خالقه ويثني عليه مع إخضاع جناب الكبرياء البشري في محراب الطاعة .. بإعطاء الحمد لمستحقه الأول .. ومع الاعتراف بالعجز التدبيري في إدارة النعم الفطرية والكسبية وتثبيت الافتقار الدائم لصاحب الفضل .. ويتجلى في حمده تأكيدُ معيةِ رب عظيم يُستغنى بغناه عن غنى كل غني .. وبقوته عن قوة كل قوي .. وفي حمده حمد رب قريب غير بعيد .. حاضر لا يغيب .. مَن حفظه وجده تجاهه .. ومن سأله أعطاه ومن استعاذه أعاذه.

ننتقل من الحمد لله في قوله تعالى: (الحمد لله رب العالمين) إلى ذكر الله والرب معا.

فلم يقل "الحمد لإله العالمين" ولا "الحمد لرب العالمين" بل جمع في الحمد بين الألوهية والربوبية فقال (الحمد لله رب) لأن الحمد والثناء مستحقان للإله المعبود ومستحقان للرب الموجد والمعطي والرزاق.

والفرق بينهما أن (الإله) هو كل ما اتخذ معبودا و(ألهت إليه) أي "التجأت" أما (الرب) فمن الربوبية وهو صاحب الإيجاد، والإمداد، والإرشاد، فهو المربي والمنعم وقد يقال للإنسان الذي يقوم بتربية إنسان (رب) قال تعالى على لسان يوسف في العزيز (إنه ربي أحسن مثواي) ويقال لقيم الأسرة رب البيت.

وفي الجمع بين الإله والرب في القرآن الكريم رد على من يؤمن بالربوبية ويكفر بالألوهية المعبودة مثل كفار قريش قال تعالى: (ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله) فهم مؤمنون بالإله الخالق غير مؤمنين بالإله المعبود كما قال: (ولا أنتم عابدون ما أعبد).

وفي زمننا الحاضر هناك ربوبيون كثيرون وخاصة في الغرب يؤمنون بالرب الخالق الموجد ولايؤمنون بالإله المعبود والمشرع والحاكم للحياة؛ لأنهم يقولون إن الله خلق الخلق وانصرف عنه فهو غني عن عبادة العباد، وعن تدبير حياتهم، والواقع أن عبادة الله افتقار بشري فمن خلق الخلق لا يمكن أن ينصرف عنهم وهم عنه في غير غنى كيف وأنفاسهم .. ونبضات قلوبهم .. وخلايا أجسادهم بين يديه ولذلك يقف المؤمن كل يوم [17] مرة يقول (الحمد لله رب العالمين) اعتراف من العبد بأنه في كل لحظة محتاج إلى من لولاه ما كان ولا كان كائن.

ثم أضاف المولى تعالى (رب) إلى (العالمين) ولم يقل إله العرب ولا إله المسلمين ولا إله الآسيويين مثلا كما يرى بعض أتباع الديانات أنه إلههم وحدهم، وكيف يكون لأمة دون أخرى وقد أرسل نبيه صلى الله عليه وسلم وأنزل كتابه رحمة للعالمين؟

{الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ} [الفاتحة: 3].

لم يقل المولى تعالى: (الرحمن) وكفى أو (الرحيم) بل جمع بينهما فقال: (الرحمن الرحيم) ولا بد أن ثمة فرقا وإلا لكان في إحداهما الكفاية.

فما الفرق بينهما؟

قال الماوردي: " الرحمن مشتق من رحمة الله لجميع عباده والرحيم مشتق من رحمة الله لأهل طاعته)[1]

وكأن الثناء بالرحمن يقابل الرب لأنه رب العالمين .. وأن الثناء بالرحيم يقابل الله المعبود من المؤمنين.

فالرحيم: أخص و(الرحمان) أعم تشمل المؤمن وغير المؤمن .. والإنسان وغير الإنسان، ولشموليتها لايطلق رحمن إلا على الله ويجوز وصف غيره ب (الرحيم) فالله رحمن يرزق الجميع ويحفظ الجميع ولولا أنه رحمان بالكافر ما عاش يوما على ظهرها.

و(الرحمن) صيغة مبالغة مثل (غضبان) (عطشان) أدل على الحدث والتجدد لأنه فيه رعاية مصالح الخلق المتجددة.

أما (الرحيم) فصفة مشبهة وهي أدل على الثبوت والدوام ومختصة أكثر بعباده المؤمنين ثابتة لهم في الدنيا والآخرة.

أما في الدنيا فجاءت كثيرا مقترنة بخصائص المسلم مثل الغفران (غفور رحيم) والتوبة (تواب رحيم) والود (رحيم ودود) والقرب **{إِنَّ رَحْمَتَ اللهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ}** [الأعراف: 56] وقال **{وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً}** [الأحزاب: 43].

وأما في الآخرة فإن الله إذا رحم عبدا لم يعذبه قال تعالى: **{مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ}** [الأنعام: 16] (من يصرف عنه) أي العذاب فتكون الرحمة شرطا في النجاة من النار وسمى الله الجنة (رحمة) فقال: **{وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}** [آل عمران: 107] وقال: **{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ أُوْلَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللهِ وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ}** [البقرة: 218] (رحمة الله) أي يطمعون بالثواب والجزاء الذي منتهاه الجنة .. وقال: **{وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ}** [الأعراف: 156] فالرحمة يومَ

(1) تفسير الماوردي = النكت والعيون – المؤلف: أبو الحسن الشهير بالماوردي (المتوفى: 450هـ) – المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم – الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان (ص 53).

القيامة كتبت للمؤمنين وحسب، وعندما دعا موسى له ولأخيه هارون قال **{وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ}** [الأعراف: 151] قال عطاء (في جنتك)[1].

ومما سبق نجد أن الرحمة جاءت بمعنى الجنة .. وبأنها شرط للنجاة من النار .. وبأنها مكتوبة للمتقين .. وهذه الخصوصيات لا تكون إلا للمؤمنين.

من هنا لا يجوز الترحم على الميت من غير المؤمن لأن الترحم عليه نظير قولك اللهم ادخله الجنة والجنة لا يدخلها إلا مؤمن موحد .. والله أعلم.

{مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ} [الفاتحة: 4].

هناك قرآتان متواترتان وهما (مالك يوم الدين) على اسم الفاعل و(ملك يوم الدين) على الصفة المشبهة .. ومعنى (مالك) يختلف عن (ملك) إلا أن سياق السورة يقتضيهما تماما.

معاني (المالك).

إذا كان (المَلك) يحكم الرعية فإن (المالك) يحكم العبيد .. والخلق عبيد الله وعياله وليسوا رعاياه لذا فالقهر والتصرف في المالكية أكمل منه في المُلكية.

ثم إن في المالك معنى المسؤولية تجاه مماليكه في طعامهم وسكنهم وصحتهم.

والمالك يكون أحرص على سلامة ما يملك .. وغاية حقوق الرعايا مع (الملك) أن يقيم فيهم العدل[2] ومن معاني المالك: أي الحائز على الشيء .. المطلق التصرف فيه .. بيعا وهبة وإجارة .. ولا يحده فيما يملك شيء .. والله سبحانه وتعالى من حيث هو مصدر الإيجاد هو مالك لرقاب خلقه .. المتصرف المطلق في مصائرهم .. لا شيء يملك أن يحول دون أن يفعل ما يريد بمن يريد كيف يريد.

---

(1) التفسير الوسيط في تفسير القرآن المجيد لأبي الحسن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: 468هـ)- تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود (ص113).

(2) لمسات بيانية في نصوص من التنزيل (ص 38).

***معاني (الملك):**

وفي المقابل فإن (المَلِك) يعني الحاكم وليس كـ(المالك) طلق التصرف فيمن يحكمهم .. بل الملك حاكم مقيد بالعدل مع رعاياه .. والله قد حرم الظلم على نفسه فلا يظلم الناس شيئا .. وبينه وبين خلقه قوانين يحكمهم بها .. ويحاكمهم على أساسها فلا عبث في الخلق ولا إهدار لحق المخلوقين في ما لهم من حق على الله في مقابل حقه عليهم .. وجعل للناس في ذلك حجة فقال: **{لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ}** [النساء: 165].

من هنا فإن الله يوم الدين (يوم القيامة) يحاسب عباده بصفته (ملك) لا بصفته مالك .. حتى إنه لا يجازيهم بعِلمه بل بعدله .. وإلا لكان يكفي أن يجازي كل واحد بما يعلم من أمره .. فهو علام الغيوب (لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض ولا أصغرُ من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين).

لكن مع علمه المطلق ينصّب لعباده (يوم الدين) محكمة الملك العادل .. ويترك لهم حق المجادلة في متسع من الوقت يستمر لخمسين ألف سنة .. **{يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا}** [النحل: 111] حتى يصلَ بهم اللجج إلى اليمين الكاذب أنهم ما كانوا مشركين بالله وهو يعلم أنهم كاذبون قال تعالى: **{ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلاَّ أَن قَالُواْ وَاللّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ}** [الأنعام: 23] وقال: **{يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعاً فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ}** [المجادلة: 18] ومع ذلك لا يمنعهم الملك العدل من ممارسة كامل الحق في إبداء اعتراضاتهم وعرض حججهم كاملة.

إلى أن يختاروا هم ألا يشهد على أنفسهم إلا أنفسُهم فيعطيهم الله ذلك.

نأتي إلى معنى يومِ الدين من قوله: {مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ}.

(يومُ الدين) يومُ الدين هو الاسم الأعم ليوم القيامة وقد رد ذكره بلفظه في الكتاب العزيز [13] مرة.

ولماذا أضاف الله تعالى صفة (المالك) أو (الملِك) إلى (يوم الدين) مع أنه هو المالك للدنيا والآخرة؟.

الجواب: لأن الله تعالى منح الناس في الدنيا مُلكا ومِلكا نسبيا قال **{هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ}** [فاطر: 39] **{وَجَعَلَكُم مُّلُوكاً}** [المائدة: 20] ومكنهم من قوانين التسخير **{وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِّنْهُ}** [الجاثية: 13].

غير أن هذا كلَّه ينتهي في الآخرة ويرجعُ الملك كله لله قال تعالى: (ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة) وقال: **{يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئاً وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ}** [الإنفطار: 19] وينادي الله يوم القيامة **{لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ}** [غافر: 16] فيجيب على ذاته العلية **{لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ}**.

أما لماذا سمي (يوم الدين)؟ فلعدة دلالات منها:

-لأنه يومُ الدينونة وهو الخضوعُ والاستسلام .. جاء في الحديث "الكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ[1]، أي من قهرها وغلبها.

- لأنه يوم الانقياد والطاعة قال تعالى: **{مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ}** [يوسف: 76] قال الطبري والشوكاني وغيرهما أي في طاعة الملك وحكمه.

- لأن السلطان والملك يكون كله يوم القيامة لله ومن معاني الدين السلطان و(أدنته) ملكته ومنه قوله تعالى: {فَلَوْلَا إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ} [الواقعة: 86].

قال القرطبي قيل غير مملوكين ولا مقهورين قال الفراء (دنته) ملكته[2] -لأن الناس يدانون فيه بأعمالهم وتظهر عليهم الحجة.

-لأنه يوم الجزاء ومنه قولهم "كما تدين تدان".

---

(1) سنن الترمذي – الرسالة (4/ 450) بقية الحديث: "وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ المَوْتِ، وَالعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا، وَتَمَنَّى عَلَى اللهِ".

(2) الجامع لأحكام القرآن (231/17).

–كذلك سمي يوم الدين لأنه يوم دين الله وشرعه أي اليوم الذي تقام للعباد موازين الحساب طبقا لقربهم وبعدهم من دين الله في الدنيا ما أقاموا منه وما تركوا ما حفظوا منه وما ضيعوا قال تعالى: **{إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الإِسْلاَمُ}** [آل عمران: 19].

وقال (أرأيت الذي يكذب بالدين) فيشمل التكذيب بالدين والتكذيب بالآخرة لأن الذي يدفع اليتيم وينهره والذي لا يحض على طعام المسكين كأنه لن يُبعث ويلقى الله ويحاسبه.

على أن (يوم الدين) هو الاسم العام ليوم القيامة وإلا فإن يوم القيامة أيام (يوم ينفخ في الصور) (يوم الخروج) (يوم البعث) (يوم الجمع) (يوم الحساب) (يوم التناد) (يوم التغابن) (يوم الحسرة) وأيام أخرى كثيرة أكثر من خمسة وعشرين اسما وبحسب محطات مسيرة الخلود لكل محطة يوم معلوم.

{إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} [الفاتحة: 5].

وفيها عدة إشارات:

1– لم يقل المولى تعالى نعبدك ونستعين بك" لأن هذا التركيب لايمنع عبادة غيره والاستعانة بسواه أما (إياك نعبد وإياك نستعين) ففي تقديم ما حقه التأخير هاهنا قصر صفة العبادة على الله وحده .. وقصر صفة الاستعانة به وحده .. وقد يقال لكننا قد يستعين بعضنا ببعض؟ والجواب هو أننا وإن استعان بعضنا ببعض فإن أمورا كثيرة لا يمكن أن نستعين عليها إلا بالله .. مثل الاستعانة على الطاعة .. وعلى ترك المعصية .. نستعين بالله على تقليب القلوب والأبصار .. على تثبيتنا على الحق والهداية والنور وأمور كثيرة لا نستعين عليها إلا بالله.

2– (إياك نعبد) تقابل (الله) المعبود (وأياك نستعين) تقابل (الرب) الرازق فمقابل العبادة يقف المؤمن كل يوم يطلب العون من الله .. وهذا معنى قول الله في الحديث القدسي "قسمت العبادة بيني وبين عبدي نصفين".

3- في هذه الآية الكريمة أسلوب التفات .. وهو التحول من ضمير الغائب من أول السورة إلى ضمير المخاطب في هذه الآية وكان القياس أن يقول "إياه نعبد وإياه نستعين" .. ففوق أن فيه تطرية للسمع وإزالة رتابة النمط الواحد ففيه قيد دلالي وهو أن المؤمن إذ يقف ليعبد إلهه (إياك نعبد) فإنما يعبد حاضرا لا غائبا وهذا يفسر قول أبينا إبراهيم عليه السلام (لا أحب الآفلين) فكيف يعبد غائبا؟

كذلك لا جدوى من الاستعانة برب غير حاضر يعززه قوله تعالى: (وإذا سألك عبادي عني فإني قريب).

4- جاءت صيغة الخطاب بضمير الجماعة الحاضرة .. وليس بضمير المفرد لم يقل "إياك أعبد" وهذا يشير إلى متانة الوحدة العضوية لجماعة المؤمنين .. وعندما تسوي الناس صفوفها لصلاة الجماعة لا يستقيم أن يكون الاتصال بالله فرديا وإلا لكانت الصلاة الفردية هي الأولى، ومنه نأخذ أن الصلاة جماعة هي الأولى.

وبالعودة إلى خطاب النص القرآني للمؤمنين سنجده دوما موجها للجماعة (يا أيها الذين آمنوا) وفي نحو [89] آية ولم يرد قط "يا أيها الذي آمن".

{اهدِنَــــا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ} [الفاتحة: 6]

بدأت الآية الكريمة بصيغة إنشاء طلبي المراد به الدعاء .. وهو طلب الهداية وهذا من المؤمن وقد يكون يصلي فعن أي هداية يسأل ربه؟ أليس الله قد هداه؟ إنه الشيء نفسه في قول تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: **{وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطاً مُّسْتَقِيماً}** [الفتح: 2] مع أن النبي صلى عليه وسلم هاد قال تعالى: **{وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ}** [الشورى: 52]؟

الجواب: الهداية هدايات:

- هداية الإلهام وهي هداية عامة قال تعالى: **{وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى}** [الأعلى: 3] وقال **{الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى}** [طه: 50].

– هداية الاختيار قال تعالى في الإنسان: **{إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً}** [الإنسان: 3]

– هداية البيان قال تعالى: **{وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى}** [فصلت: 17] أي أرسلنا لهم الرسول لهدايتهم.

– هداية السداد والتوفيق قال تعالى: **{وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ}** [الشورى: 13] وقال: **{وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى}** [مريم: 76].

– هداية الإرشاد إلى الصواب قال تعالى: **{قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ}** [الشعراء: 62] وقال: **{سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ}** [محمد: 5].

– هداية الثبات .. وهي دعاء المؤمن في سورة الفاتحة: **{اهدِنَـا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ}**.

وقوله الله في النبي صلى الله عليه وسلم: **{وَيَهْدِيَكَ صِرَاطاً مُّسْتَقِيماً}** [الفتح: 2]

وطلب الهداية في الفاتحة جزء من حق العبد في سؤال ربه وهو يقرأ السبع واقف بين يديه.

ننتقل من الهداية في قوله تعالى: (اهدنا الصراط المستقيم) إلى معنى (الصراط).

يقول أصحاب المعاجم إن (الصراط) و(السراط) و(الزراط) بمعنى .. وعليها وردت القراءات والصراط قراءة الجمهور .. وأول ما يؤول الصراط بأنه الطريق، ولكن من غير ترادف فثمة اختلاف بين الصراط والطريق والسبيل.

وما يختص به الصراط عن معنى الطريق والسبيل هو أن (الصراط) كما يقول الدكتور فاضل السامرائي[1] يتفرد بصفات منها:

---

(1) لمسات بيانية في نصوص من التنزيل (ص 40).

أنه مستقيم وهو ما يعني أن ثمة صردا غير مستقيمة حيث قال: **{فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ}** [الصافات: 23] والمستقيم أقرب خط بين نقطتين فلا انحناءات ولا منعطفات فهو أقرب موصل إلى الغاية.

– يوصف الصراط أنه طريق واسع تلتقي فيه سبل السلام قال تعالى: **{يَهْدِي بِهِ اللّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلاَمِ}** [المائدة: 16] **{وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا}** [العنكبوت: 69] ومن استقراء الآيات المتضمنة لاسم الصراط نجد أن المراد به مجازيا الإسلام قال المولى: **{وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ}** [الأنعام: 153] **{قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِيناً قِيَماً مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ}** [الأنعام: 161] فتجتمع فيه سبل السلام وهي شرائع الله.

كذلك سمي الصراط لأنها يصطرد السابلة أي يبلعها لسعته وهم السالكون فيه فينتظم المؤمنون فيه طريقا واحدا متصلا بصراط الآخرة قال تعالى عن صراط الآخرة: **{وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ}** [الحج: 24].

فمن سلكه لا يضل في متاهات طرق أخرى .. وسيستمر السير على النهج القويم ليجدوه يوم القيامة قد تحول إلى طريق مادي حقيقي مضروب على متن جهنم للعبور عليه .. فأما من سار على نور الإسلام كما وصفه الله (وأنزلناه إليكم نورا مبينا) بقي على نوره مبصرا في اتجاه هدفه الذي بدأه في الدنيا **{يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}** [التحريم: 8].

وأما من لم يسلكه في الدنيا فكما قال تعالى: **{يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءكُمْ فَالْتَمِسُوا نُوراً فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ}** [الحديد: 13].

وهذه الصورة الأخروية من حالة العمى والتخبط يجسدها قوله في سورة يس **{وَلَوْ نَشَاء لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ}** [يس: 66].

وكل بقدر عمله فمنهم من يجتازه كالبرق .. ومنهم كالريح .. ومنهم كالفرس المجري .. ومنهم من يتلبط فيه تلبطا .. ومنهم من هو له دحْضة مزلّة تلتقفه على جنبتي الصراط حساسيك وكلاليب ترمي بالمجرمين في أمهم الهاوية.

من هنا ندرك أن الصراط في الدنيا مقدمة وهو في الآخرة نتيجة قال المولى تعالى: **{وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ}** [المُؤۡمِنُونَ: ٧٣-٧٤].

قال الآلوسي رحمه الله في روح المعاني": ومن زل عن هذا الصراط في الدنيا زل عن صراط الآخرة أيضا"[(1)].

قال تعالى: **{صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ}** [الفاتحة: 7].

جاء في (البحر المحيط) : "وقدم الغضب على الضلال، وإن كان الغضب من نتيجة الضلال، ضل عن الحق فغضب عليه لمجاوزة الإنعام، ومناسبة ذكره قرينة لأن الإنعام يقابل بالانتقام ولا يقابل الضلال الإنعام. فالإنعامُ إيصالُ الخير إلى المنعم عليه، والانتقام إيصال الشر إلى المغضوب عليه فبينهما تطابقٌ معنوي(2).

تأمل التخالف بين قوله (أنعمت عليهم) وبين (المغضوب عليهم ولا الضالين) فنسب الإنعام إلى الله كأسلوب قرآني مطرد في إسناد الخير إلى الله كما سبق قال تعالى: **{وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ}** [النحل: 53] " وأما المغضوب عليهم، فقد بناه للمفعول ليعم الغضب عليهم: غضب الله، وغضب الغاضبين لله ولا يتخصص بغاضبٍ معين، فهم مغضوبٌ عليهم من كل الجهات. بل إن هؤلاء سيغضب عليهم أخلصُ أصدقائهم وأقرب المقربين إليهم، يوم ينقطع حبلُ كل مودّةٍ في الآخرة غير حبل المودّة في الله، وتنقطع كل العلائق غير العلائق في الله، كما قال تعالى: {لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ} [الأنعام: 94] وقال: {ثُمَّ يَوْمَ القيامة يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضاً} [العنكبوت: 25] . فيغضب بعضهم على بعض ويتبرأ بعضهم

(1) روح البيان (3/ 120).

(2) تفسير البحر المحيط (1/ 152).

من بعض حتى يتبرأ الإنسان من جلده وجوارحه التي تشهد عليه، فهم مغضوبٌ عليهم من كل شيء، ومن كل أحد.

فانظر هذا العموم في الغضب وهذا الإطلاق .. ثم انظر من ناحية أخرى، كيف جعل كُلاًّ من المغضوب عليهم والضالين اسماً، وذلك للدلالة على الثبوت، فيكون الغضب عليهم دائماً ثابتاً لا يزول واتصافهم بالضلال على وجه الثبوت أيضاً. فلا يُرْجى لهم خيرٌ ولا هدى، فلم يقل صراط الذين غُضب عليهم وضلوا فيجعل الغضب أو الضلال في زمنٍ دون زمن؛ بل إن هذا الوصف لازم لهم إلى يوم القيامة ثابت لا يزول فهم مغضوب عليهم في الدنيا والآخرة، وضالون في الدنيا والآخرة كما قال تعالى: **{وَمَن كَانَ فِي هاذه أعمى فَهُوَ فِي الآخرة أعمى وَأَضَلُّ سَبِيلاً}** [الإسراء: 72] (1).

ثم إن (غير المغضوب عليهم ولا الضالين) صفة إضافية للصراط فإلى جانب كونه مستقيما .. وواسعا .. ومنيرا فإن من صفاته إلى جانب ذلك أنه صراط الذين أنعم الله عليهم والذين من صفاتهم أيضا أنهم لم يغضب عليهم المولى ولا أحد من خلقه ولم يضلوا .. إنها صفات متصلة ومركبة لتخصيص الصراط لأهل الله وخاصته وحسب.

ولو عرفنا من هم هؤلاء الذين أنعم الله عليهم لأدركنا كم هو عظيم هذا الدعاء الافتتاحي الذي يدعو به المؤمن في تلاوته وفي صلاته ما لايقل عن [17] مرة في اليوم.

إنه يدعو أن يكون في السير على صراط الله وهديه مع رفقة صفوة الله المختارة خير من في الوجود كله .. إنهم من ذكرهم الله بقوله: **{وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَـئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَـئِكَ رَفِيقاً}** [النساء: 69].

على أن هذه المعية المتجهة نحو الغاية الواحدة لا تنتهي بنهاية السير على هدى الله وشرعه .. وطي صفحة الحياة الدنيا .. ولكنها تمضي في عمق الخلود امتدادا .. وفي علو المقام ارتفاعا .. فالآية الكريمة تفتح أيضا باب صحبة الأنبياء في الجنة ولمن هم دونهم

---

(1) لمسات بيانية في نصوص من التنزيل (ص: 66).

منزلة .. ذلك أن التنافس لم يُغلق .. وفضل الله لم يُحجب .. فالمقامات تحددها الأعمال كما قال تعالى: **{وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ}** [الأنعام: 132].

وهو بعدّ جزائيّ معززٌ بنص حديثي صحيح .. فعن ربيعة بن كعب الأَسلمي رضي الله عنه قَالَ: (كنت أَبِيت مع رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم فأتيته بِوَضوئِه وحاجته فَقَالَ لِي: « سل ». فقلت أَسألك مرافقتك في الْجَنَّة. قال: أَوَ غير ذلك، قلت هو ذاكَ، قَالَ: فَأَعِنِّي عَلَى نفسك بكثرة السُّجود"[1].

على أن وصف الذين أنعم الله عليهم بأنهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين قيد شرطي لا بد منه .. ذلك أن من غضب الله عليه لم يدخل الجنة كما أن من رحمه لم يدخل النار كما سبق .. ومن ضل عن الصراط شطت به السبل كما قال ربنا **{وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ}** [الأنعام: 153].

فأنى لهؤلاء أن يكونوا في صحبة الصالحين؟

ولا يختلف أن يكون معنى (أل) في المغضوب عليهم والضالين للجنس أو للعهد .. فأن تكون للجنس فإنها تشمل كل من صفته كذلك .. وأن تكون للعهد فإن المراد بالمغضوب عليهم اليهود كما ورد في تسع آيات من القرآن الكريم وكما فسرتها الأحاديث .. وأن الضالين هم النصارى كما جاء في الأحاديث وكما قال الله في سياق الحديث عنهم في سورة المائدة **{قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلاَ تَتَّبِعُواْ أَهْوَاء قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيراً وَضَلُّواْ عَن سَوَاء السَّبِيلِ}** [المائدة: 77].

وقد يكون المعنيان للجنس والعهد واردين كما هو دأب نص الوحي في التوسع .. وفي كل الحالات يظل هذا القيد الإضافي مناسبا للسياق ومخصّصا للزمرة المؤمنة التي لا تفتأ تدعو به في كل صلاة ومن جلاله فقد شُرع التأمين عليه فاللهم اجعلنا من (الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين).

---

(1) المسند الصحيح المختصر لمسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: 261هـ) – المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي – الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت (1/ 353).

يقول الدكتور أبراهيم السامرائي: " إن هذه السورة جمعت أصول العقيدة الإسلامية.

وأولها: الإقرار بوجود الله، وأن له صفات الكمال وهو المستحق للحمد، ذاتاً وصفات، منها الإقرار بالتوحيد، وهو قوله: {رَبِّ العالمين} وقوله: **{إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}** فإن كونه رباً للعالمين جميعاً، يعني: أنه لا رَبَّ سواه، وأن تخصيصه بالعبادة والاستعانة معناه: أنه لا إله سواه، فقد شملت توحيد الألوهية والربوبية.

وقوله: {مالك يَوْمِ الدين} يعني: الإقرار باليوم الآخر والجزاء.

وقوله: {وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} يعني: الإقرار بقدرته التي لا تُحَدُّ.

وقوله: {اهدنا الصراط المستقيم * صِرَاطَ الذين أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ} يعني: الإقرار بالرسل، وما أنزل إليهم من كتب. فإن الصراط المستقيم الذي يريده الله إنما يُعْرَفُ من طريق الأنبياء والرسل. والعبادة التي يرتضيها الله لا تُؤخذ إلا عن طريق الرسل، فإنه ليس للإنسان أن يعبد الله كما يشتهي، بل كما يريد الله ويحب.

فتضمنت السورة أصول العقيدة وأمهاتها. وتضمنت دين الإسلام بركنيه، الإيمان والعمل الصالح.

أما الإيمان فقد ذكرت أركانه، من إيمان بالله، ورسله، واليوم الآخر(1).

---

(1) لمسات بيانية في نصوص من التنزيل (ص: 71).

** مسرد المصادر والمراجع:

1. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن - المؤلف : محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الشنقيطي (المتوفى : 1393هـ) - الناشر : دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان - عام النشر : 1415 هـ - 1995.
2. إعراب القرآن الكريم - المؤلف: أ. د.الحسين بن محمد شواط - تقديم: سيد جمعه سلاّم.
3. إعراب القرآن الكريم وبيانه لمحي الدين الدرويش – اليمامة للطباعة والنشر ودار ابن كثير – دمشق وبيروت الطبعة الثامنة 1422هـ 2001م.
4. الإعجاز البياني في ضوء القراءات القرآنية المتواترة - للأستاذ الدكتور أحمد بن محمد الخراط - الناشر مركز الدراسات القرآنية بمجمع الملك فهد لطباعة القرآن الكريم 1426هـ.
5. البلاغة الصوتية في القرآن الكريم د. محمد زكي شاد.
6. البيان في روائع القرآن - دراسة لغوية اسلوبية في للنص القراني - د. تمام حسان.
7. التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» - المؤلف : محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : 1393هـ) - الناشر : الدار التونسية للنشر – تونس - سنة النشر: 1984 هـ .
8. التضمين النحوي في القرآن الكريم للدكتور/ محمد نديم فاضل في كتابه الناشر: دار الزمان، المدينة المنورة - المملكة العربية السعودية - الطبعة: الأولى، (1426 هـ - 2005 م).
9. التفسير الوسيط في تفسير القرآن المجيد لأبي الحسن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: 468هـ)- تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود.
10. التوجيه الأدبي د. طه حسين وآخرون ينظر مجلة كلية التربية الأساسية – جامعة بابل كانون أول 2014م العدد (18).
11. الجملة العربية – تأليفها وأقسامها – المؤلف الدكتور فاضل صالح السامرائي – الناشر دار الفكر للطباعة والنشر – عمان – البتراء – الطبعة الثانية.
12. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: 538 هـ) - تحقيق: عبد الرزاق المهدي - الناشر: دار إحياء التراث العربي - مكان النشر: بيروت.
13. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز - المؤلف: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: 542هـ) - المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد - الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت - الطبعة: الأولى - 1422 هـ .
14. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر - المؤلف: ضياء الدين بن الأثير، نصر الله بن محمد (المتوفى: 637هـ) - المحقق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة - الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة . القاهرة.
15. المسند الصحيح المختصر لمسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: 261هـ) - المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي - الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

16.أنوار التنزيل وأسرار التأويل المؤلف: ناصر الدين أبو سعيد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: 685هـ) – المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي – الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت – الطبعة: الأولى – 1418 هـ (278/3).

17.تاج العروس لمحمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: 1205هـ) – المحقق: مجموعة من المحققين – الناشر: دار الهداية.

18.تعدد الأنماط للوظائف النحوية دراسة دلالية رسالة دكتوراه لمسعد محمد عبد الغني عواد كلية دار العالم 2006م.

19.تفسير البحر المحيط – المؤلف : محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي – دار النشر : دار الكتب العلمية – لبنان/ بيروت – 1422 هـ – 2001 م – الطبعة : الأولى.

20.تفسير القرآن العظيم – المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774 هـ) – المحقق: محمود حسن – الناشر: دار الفكر – الطبعة: الطبعة الجديدة 1414 هـ/1994.

21.تفسير الماوردي = النكت والعيون – المؤلف: أبو الحسن الشهير بالماوردي (المتوفى: 450هـ) – المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم – الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان.

22.تفسير المنار تفسير القرآن الحكيم – المؤلف: محمد رشيد بن علي رضا الحسيني (المتوفى: 1354هـ) – الهيئة المصرية العامة للكتاب– سنة النشر: 1990 م.

23.تفسير النابلسي – المؤلف: محمد راتب النابلسي – المصدر: الشاملة الذهبية.

24.تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن – المؤلف: الشيخ العلامة محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي– مراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي – الناشر: دار طوق النجاة، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، 1421 هـ – 2001 م.

25.حاشية الخضري على شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك – المؤلف: محمد بن مصطفى الخضري المتوفي (1287) – دار الكتب العلمية – بيروت.

26.دلالات الظاهرة الصوتية في القرآن الكريم للدكتور خالد قاسم بني دومي – دار النشر عالم الكتاب الحديث– عمان جامعة اليرموك.

27.دلائل الإعجاز دلائل – المؤلف: أبو بكر عبد القاهر الجرجاني (المتوفى: 471هـ) – المحقق: محمود محمد شاكر أبو فهر – الناشر: مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة – الطبعة: الثالثة 1413هـ – 1992م.

28.روح البيان – المؤلف: إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي أبو الفداء (المتوفى: 1127هـ) – الناشر: دار الفكر – بيروت.

29.سنن الترمذي – الرسالة (4/ 450) بقية الحديث: "وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ المَوْتِ، وَالعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا، وَتَمَنَّى عَلَى اللهِ".

30.صحيح ابن حبان صحيح ابن حبان – المسند الصحيح على التقاسيم والأنواع – المؤلف: محمد بن حبان الدارمي (المتوفى: 354 هـ) – المحقق: محمد علي سونمز، خالص آي دمير – الناشر: دار ابن حزم – الطبعة: الأولى 1433 هـ– 2013 م.

31.صفوة التفاسير – المؤلف: محمد علي الصابوني – الناشر: دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة – الطبعة: الأولى، 1417 هـ – 1997 م.

32.علم المعاني للمؤلف مكتبة اقرأ – عام 1917م.

33.عن مجلة كلية التربية الأساسية – جامعة بابل كانون أول 2014م العدد (18).

34.فتح القدير المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: 1250هـ) – الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت – الطبعة: الأولى – 1414 هـ.
35.قول الحطيئة يهجو بها الزبرقان وهو من البسيط المخصص (413/1) لسان العرب (363/12) الإعجاز والإيجاز (146/1) خزانة الأدب.
36.لباب التأويل في معاني التنزيل – المؤلف: علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم المعروف بالخازن (المتوفى: 741هـ) – تصحيح: محمد علي شاهين – الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة: الأولى، 1415 هـ.
37.لسان العرب الغريب والمعاجم ولغة الفقه– المؤلف: محمد جمال الدين ابن منظور الأنصاري (المتوفى: 711هـ) – الناشر: دار صادر – بيروت – الطبعة: الثالثة – 1414 هـ.
38.لمسات بيانية في نصوص من التنزيل دار عمان – الطبعة الثالثة.
39.مجلة كلية التربية الأساسية – جامعة بابل كانون أول 2014م العدد (18).
40.مسند أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأقواله على أبواب العلم – المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ) – المحقق: عبد المعطي قلعجي – دار النشر: دار الوفاء – المنصورة – الطبعة: الأولى، 1411هـ – 1991م.
41.مشكل إعراب القرآن – المؤلف: أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (المتوفى: 437هـ) – المحقق: د. حاتم صالح الضامن – الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت – الطبعة: الثانية، 1405.
42.معاني القرآن وإعرابه – المؤلف: إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: 311هـ) – المحقق: عبد الجليل عبده شلبي – الناشر: عالم الكتب – بيروت – الطبعة: الأولى 1408 هـ – 1988 م
43.مفاتيح الغيب – المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: 606هـ) – الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت – الطبعة: الثالثة – 1420 هـ.
44.من الأنماط التحويلية في النحو العربي المؤلف الدكتور / محمد حماسة عبد اللطيف – دار الغريب للطباعة والنشر – القاهرة – 2006م.
45.من لطائف وأسرار (تفسير السمين الحلبي) من خلال تفسير (الدر المصون في علوم الكتاب المكنون) – المؤلف: أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (المتوفى: 756 هـ) جمع وترتيب/ عبد الرحمن القماش.
46.من لطائف وأسرار (تفسير الكشاف للزمخشري) – من خلال تفسيره (الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل) – جمع وترتيب/ العاجز الفقير: عبد الرحمن القماش.
47.منة المنعم في شرح صحيح – المؤلف: أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري (206 – 261 هـ)
48.نظم الدرر في تناسب الآيات والسور – المؤلف: أبو الحسن، برهان الدين إبراهيم البقاعي (المتوفى: 885 هـ) – دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت – 1415هـ – 1995 م .
49.الجامع لأحكام القرآن – المؤلف أبو عبد الله شمس الدين القرطبي (المتوفى: 671 هـ)– تحقيق هشام سمير البخاري – دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية – الطبعة: 1423 هـ/ 2003 م.
50.–الخصائص – المؤلف: أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (المتوفى: 392هـ) – الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب – الطبعة: الرابعة.

51. المخصص الغريب والمعاجم ولغة الفقه – المؤلف: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (المتوفى: 458هـ) – المحقق: خليل إبراهم جفال – الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت – الطبعة: الأولى، 1417هـ 1996م.
52. خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية المؤلف: عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني – الناشر: مكتبة وهبة– الطبعة: الأولى، 1413 هـ – 1992 م. دار النشر: دار الفكر العربي.
53. زهرة التفاسير – المؤلف: محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفى: 1394هـ)–الشارح: فضيلة الشيخ/ صفي الرحمن المباركفوري – الناشر: دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض – المملكة العربية السعودية – الطبعة: الأولى، 1420 هـ – 1999 م.
54. معاني النحو للدكتور/فاضل بن صالح السامرائي – الناشر دار الفكر للنشر والطباعة والتوزيع – عمان – الطبعة الأولى – 1420هـ – 2000م.

** مواقع:

https://www.alukah.net

المحتويات